سلسلة
ملتقى الأقلام
المبدعة (3)

مجموعة من المبدعين والمبدعات

حُروفٌ تُعانِقُ السَّماء

مختارات أدبية من أقلامٍ مبدعةٍ حول العالم، يجمعها شغف الكلمة

كتاب جامع

دار السمة

حروف تعانق السماء

اسم الكتاب: حروف تعانق السماء
اسم الكاتب: مجموعة مؤلفين
نوع العمل: نصوص وأشعار
الرقم الدولي EBIN: 16-1-421-251227
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2026م

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
@ bassmabook
bassmabook@gmail.com
المملكة المغربية

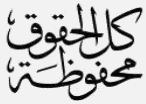

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. ولا يجوز بأيّ صورة نشرَ أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

حروف تعانق السماء

مختارات أدبية من أقلام مبدعة حول العالم،
يجمعها شغف الكلمة

نصوص وأشعار

مجموعة مؤلفين

كلمة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل قلمٍ ارتجف لحظةَ البداية... ثم كتب.

إلى الذين خبّأوا نصوصهم في الأدراج خوفًا، ثم أخرجوها للنور شجاعةً.

إلى المشاركات والمشاركين الذين آمنوا أن الحرف قد يُنقذ إنسانًا لا نعرفه... في مدينةٍ لا نعرف اسمها.

وإلى القارئ... إن وجدتَ سطرًا يشبهك، فاعلم أنك لست وحدك ✨📚

المؤلفون

أحمد حسن ضيف الله
ندى يزوغ
يوسف الزدكي
عبد الصمد ساير
إدريس بكوش
عادل حسن الحسين
صالح محمد الهلابي
إبراهيم لوكنا
علي الحكماني
علي بن عبد الرحيم حمد
داود ياسمينة
حسناء ادويشي
سجى حمدان

أريج منصور أبو حسين
زينب العيناني
إسماعيل سليمان
عبد الله الحكماني
ابتسام عبد الرزاق
بويصار بدر الدين
لمى حبوب
حميدة الأحمدي
أم كلثوم بهواري
إيمان الجصاص
جهاد غريب
ساميه علي سهلي
ثريا بلعيادي

علي بن عيسى الزهراني
حياة بقيش
هيفاء الشوا
الزعومي فاطمة الزهراء
جمال شمس الدين
عبد العزيز ادغوغ
عبد السلام الخلقي
نوفل بيروك
نور سعيد ظاهر
عبده محرم أحمد دبوان
سارة محمد
آسر ياسين

مقدمة الناشر

يسعدني -بصفتي مدير دار بسمة للنشر الإلكتروني- أن أقدّم هذا الإصدار ضمن مشروع (سلسلة الأقلام المبدعة) في نسختها الثالثة[1]، وهو مشروعٌ نؤمن فيه بأن الأدب يصبح أجمل حين تتجاورُ التجارب، وتتساند الأصوات، وتلتقي الأقلام تحت غلافٍ واحد.

إيمانًا برسالة الدار في مساندة المؤلفين وإيصال أصواتهم إلى العالم العربي، وتقديم محتوى يليق بقيمة القلم ودوره في التنوير.

إن كتاب «حروف تعانق السماء» ليس صفحاتٍ تُقرأ فقط، بل هو مساحةُ لقاء: لقاء بين تجارب متنوّعة، وأحاسيس صادقة، وأصواتٍ اختارت أن تقول "ها أنا ذا" بالحبر بدل الصمت. وفي دار بسمة، نؤمن أن الموهبة لا تحتاج ضجيجًا بقدر ما تحتاج احتضانًا وتوجيهًا وإتاحةً عادلة ...لذلك نساند الكتّاب، ونرشدهم لآليات فنية تُحسّن أساليب الكتابة والإبداع، وننظّم مبادرات ومسابقات لاكتشاف المواهب الشابة وتشجيعها.

---

[1] سبق أن صدر كتابان ضمن هذه السلسلة الأول: حروف تنبضُ بالحب، والثاني: حينَ يزهر القلم.

وفي دار بسمة، نحن لا نرى النشر مجرد ملفّ يُرفع وغلافٍ يُصمَّم؛ بل نراه رسالةً ومنصّةً شاملة تساعد الكاتب على الوصول والانتشار والاستفادة من خبرة الدار في النشر والتسويق .

نرجو أن يجد كل قارئ في هذا العمل ما يلامس قلبه، وأن يجد كل مشاركٍ/ة في نشر اسمه/ها خطوةً أولى نحو رحلةٍ أطول وأجمل.

شكرًا لكل من آمن، وكتب، وشارك، وقرأ...

والقادم أجمل بإذن الله، والله وليّ التوفيق 🌿 .

سمير بن الضو

كاتب وناشر مغربي

مدير دار بسمة للنشر الإلكتروني

اللُّغةُ العَربيّة [1]

أحمد حسن ضيف الله

يَا صَافِيَ الفِكرِ عَرّج نَحوَ رَوضتِنا ... وَاقْطُفْ زهورًا يَفيحُ العِطرُ راعيها

أُمُّ اللُّغاتِ مِنَ القُرآنِ مَصدَرُها ... فيها البَيانُ جَمالٌ يَنتَشي تِيها

رَمزُ العُروبةِ توحيدٌ لِأُمّتِنا ... بِالضّادِ نَرسُمها طَورًا ونُعليها

نحمي حماها إذا ما الخطبُ داهمها ... فالعربُ تحيا إذا ما صنتَ واديها

هَيّا هَلُمَّ نُدافعْ عَنْ أَصالَتِها ... بينَ اللُّغاتِ ومِمّنْ قد يُعاديها

نُوحّدُ الشّملَ حَولَ الضّادِ رِفعتِنا ... أنعِمْ بِحامِلِها أنعِمْ بِراعيها

أَهيمُ في وصْفِ مَنْ أهوى وأعشَقُها ... بِالشّعرِ أمْدحُها بِالنّثرِ أرويها

هيَ الحَبيبةُ تَشْفي العاشِقَ الوَلِهَ ... مُذ أنْ سَقتْهُ مَعينًا مِن مَعانيها

وهْيَ الّتي نُورُها في الكوْنِ مُنتَشِرٌ ... أنارَ بِالحُبِّ قَاصِيها وَدانيها

سُبحانَ مَنْ أودعَ الأسْرارَ أجمَعَها ... عِلمًا ونورًا تَجلّى في سَراريها

عَاشَتْ حَبيبَةُ قَلبي دائِمًا أبدًا ... عَيْشَ الخُلودِ وَإنْ طَالتْ لياليها

---

[1] الدكتور الشاعر أحمد حسن ضيف الله، من الأردن، له مجموعة من المؤلفات، صدر له عن دار بسمة للنشر الإلكتروني ديوان: ساعات عمري.

جِئْنا نَزُفُّ لَها البُشرى عَلى عَجَلٍ ... مِنْ أجلِها الرُّوحُ لاَ تَغلو وَنُفنيها

نبني بها المجدَ والأيامُ شاهدةٌ ... نَحنُ الأحِبّةُ لا نَألو مُحبّيها

هَذي اللآلئُ في أحْشائِها دُررٌ ... يَا طِيبَ مَوْطِنِها مَا عُدتُ أُحصيها

عِلمُ العَروضِ بِأوزانٍ وقافِيةٍ ... نحوٌ وصرفٌ بيانٌ في خَوابيها

عِلمُ البديعِ يُرَصّعُها بِرونَقِهِ ... أمّا المعاني فَلا أسْطيعُ أُحصيها

بُوركْتِ مِنْ لُغةٍ عِملاقَةٍ أبدًا ... أنْتِ الحضارَةُ أُولاها وتَاليها

قِصة الطفل الذي علّم الكبار معنى الأثر [1]

ندى يزوغ

لم يكن الطفل قد أطفأ شمعته العاشرة بعد، لكنّ شيئًا في داخله كان يتقد بحدةٍ أكبر من سنّه. كان يعيش مثل باقي الأطفال داخل بيتٍ بسيطٍ، تحكمه تفاصيل يوميّة: ضجيج الإخوة، صراخ التلفاز، ورائحة الطعام وهي تتسلّل من المطبخ.

ومع ذلك... كان في هذا البيت سرّ صغير لا يعرفه إلا هو.

الفصل الأول: الرجل الذي كان يجيء ويذهب

كان هناك قريبٌ يزورهم من حينٍ لآخر، رجلٌ عادي في نظر الكبار، لا يملك مالًا كثيرًا ولا منصبًا مرموقًا، لكن الطفل كان يراه بطريقة مختلفة: كان يراه نافذةً.

نافذة على عالمٍ آخر.

---

[1] ندى يزوغ كاتبة مغربية، ووجه تربوي بارز من مدينة مكناس، صدر لها عن دار بسمة للنشر الإلكتروني كتاب: أرواح الغد، وكتاب: نستحق أن نكون سعداء.

عالمٌ يبدأ حين يجلس الرجل قربه ويبدأ بالحكي.

كان الرجل يروي قصصًا لا تشبه القصص التي تُباع في المكتبات: قصصًا عن طيورٍ ترفض الأقفاص، وعن أطفالٍ يجدون شجاعتهم في لحظاتٍ صغيرة، وعن رجالٍ يتعلمون أن يعتذروا... حتى لو كان ذلك متأخّرًا.

الطفل لم يكن يظهر اهتمامه؛ كان يتظاهر بأنه يشاهد مسلسله الكرتوني، أو يضحك مع إخوته، أو ينشغل بلوحاته الصغيرة.

لكن خلف الملاءة التي يضعها فوق رأسه... كان يسمع كل شيء.

كان يخزّن الكلمات كما تخزّن الأرض المطر.

ولم يكن أحد يلاحظ.

الفصل الثاني: الغياب الذي صار سؤالًا

ثم... غاب الرجل.

لم يأتِ أسبوعًا، ثم شهرًا، ثم موسمين كاملين.

وكان الطفل وحده من شعر بأن شيئًا ما انكسر.

في البداية سأل بصراحة: «لماذا لم يعد؟ هل هو مسافر؟ هل هو مريض؟»

لكن الإجابات كانت ضبابية، مبهمة، تجعله يشعر بأن الكبار يخفون عنه شيئًا ما، وأن الغياب ليس عابرًا كما يظنون.

ومع مرور الوقت بدأ الطفل يفعل ما يفعله الأطفال حين يضيعون أمام أسئلة بلا أجوبة: صار ينسى... ثم يتذكر... ثم ينسى... ثم تعود ذكرى صغيرة فتوقظه.

كان يقول لنفسه: «لو عاد مرة أخرى، أريد أن أخبره... أريد أن أشكره...»

لكن الرجل لم يعد.

الفصل الثالث: الهدية التي قلبت الطاولة

إلى أن جاء يومٌ عاديّ تمامًا، حمل فيه والده هدية لأمّه.

هدية بسيطة، علبة صغيرة ملفوفة بورقٍ لامع.

توقف الطفل أمامها.

بدا له أن الأمر غير مكتمل؛ شيء في داخله صاح: «وكيف ننسى ذاك الرجل؟ أليس هو أيضًا من يستحق هدية؟»

لم يقلها بنبرة طفلٍ مدلل، بل بنبرة إنسانٍ صغير يشعر بالعرفان.

كانت لحظة قصيرة، لكنها كانت تحمل وزن سنتين من الذكريات.

رنّ داخل صدره سؤال واحد: «كيف ننسى من جعل أيامنا أكثر جمالًا؟»

ومن فرط إصراره، وجد نفسه في اليوم الموالي يحمل هدية صغيرة، لا أحد طلبها منه، ولا أحد كان يتوقعها: رسمة، قطعة شوكولاتة، وكلمة «شكرًا» كتبها بخطّه المتعثر.

الفصل الرابع: العودة

شاءت الظروف، كما يحدث في القصص، أن يقرر الأب زيارة ذلك القريب في ذلك الأسبوع بالذات.

حمل الطفل هديته، وارتجف قلبه كما لو أنه ذاهب لامتحانٍ صعب. حين فتح القريب الباب، حدث شيء لم يره أحد... لكن الجميع شعر به.

ركض الطفل نحوه. ليس ركضًا عاديًّا، بل ركضًا يشبه اندفاع الطير نحو عشه بعد عاصفة. وعندما اعتلى حضنه أخيرًا، قال القريب بصوتٍ مبحوح:

«كبرت...!»

فردّ الطفل بهدوءٍ يشبه الحكمة: «لكنّي لم أنسَ».

ظل القريب صامتًا لوهلة، ثم ابتسم ابتسامة رجلٍ أدرك فجأةً أن الخير الذي ظنه صغيرًا... كان كبيرًا في قلب شخصٍ آخر.

الفصل الخامس: الحكاية التي أثمرت

في تلك الزيارة، طلب الطفل أن يسمع قصة جديدة.

لكن القريب لم يردّ بقصة هذه المرة، بل بحكمة بسيطة خرجت من قلبه: «الكلمة الطيبة تعيش أطول مما نتصور يا صغيري...

ربما أكثر منا».

والطفل -رغم صغر سنّه- فهمها. فهم أن الامتنان ليس كلمة، بل فعل، وأن الأثر لا يقاس بالسنّ ولا بالشهادة ولا بالمال.

الأثر يُقاس بمن يترك شيئًا فينا... ويتوغل في الذاكرة دون أن يدري.

الفصل السادس: الرسالة التي بين السطور

ليس في هذه القصة واعظٌ مباشر، ولا استنتاجٌ يُقال صراحة. لكن القارئ سيشعر بأن:

• الأطفال يرون ما لا يراه الكبار.

• الامتنان ينغرس من أبسط التصرفات.

• القدوة قد تكون رجلًا عاديًّا بقصةٍ جميلة.

• وأن الخير يعود... حتى لو تأخر.

• وأن بعض الغيابات لا يمحوها إلا حضور صادق واحد.

ظلال الأنس[1]

يوسف الزدكي

حط السيد غريب رِحَالَ الذاكرة في فضاء ثانوية خفيفة الظل، مساحتها فسيحة ورياض المعرفة بداخلها رحيبة، تنفح روادها الهدوء والسكينة، وتفتح شهية الحالمين من الأساتذة والتلاميذ، فتشحذ القريحة وتغذي الوجدان.

في تلك اللحظة الحالمة، حن السيد غريب إلى أطر وعاملي الثانوية القابعة على أطراف المدينة، وتذكر لحظات جميلة عاشها داخل جنة العرفان، فسكنه الشوق، وملكه سحر المعرفة، فبمجرد ما شرع خياله في الإبحار إليها، عانقته أشجار الزيتون المزهوة بنفسها، وهفت نفسه لرائحة أشجار الليمون وسحرته البوابة بلونها الأخضر الفتان، ودقات الجرس ترن في ذاكرته مثل دقات الطبول.

قرر أن يزورها في اليوم الموالي، فألفى نفسه في مكان غريب عنه، فسأل أحد المارين:

---

[1] يوسف الزدكي، روائي مغربي، صدر ت له عن دار بسمة للنشر رواية: دخان من نوع آخر.

- من فضلك أين أجد ثانوية الليمون؟

حملق الرجل في محياه باستغراب ورد عليه ولم ينظر إليه:

- لا توجد ثانوية بهذا الاسم هنا يا سيدي. ثم قال له:

- هل أنت غريب عن هذه المدينة؟

- أجل صرت كما تقول.

لم يدر بخلده أبدًا أن يتلقى سؤالًا غريبًا كالذي طرحه هذا الشاب عليه، لم يشأ إخباره أنه يحمل اسم غريب، لكن كلماته تبعثرت على قارعة الطريق، ولم ينظر إليه.

أدار البصر من حوله فلم يجد مخلوقًا يدبُّ على أطراف المدينة، حتى الفتى الذي حاوره اختفى عن الأنظار، ذاب مثل فص ملح ولم يعد له أثر، فحاصره ركام من البنايات السامقة، وطوقه جبل من الأتربة النائمة، ودارت به الأرض حين ولج أحد الشوارع الحديثة الولادة، سأل نفسه: أين غابت أشجار الليمون؟ وأين هي حقول الذرة؟ وأين الطريق إلى قلعة المعرفة؟

فجأة، التصقت عيناه بظل بشري، فسأله:

- من فضلك أين هي ذاكرتي؟

رنا إليه الرجل بذهول ولم يجبه، كان منشغلًا بهاتفه النقال.

عطف السيد غريب إلى شارع غاص بالعمال يموج بأصوات المطارق والفؤوس، سأل أحدهم، لكنه رمقه بعينيه الجاحظتين... ولم ينبس ببنت شفة... وسأل الثاني، فرد عليه في الحال:

- كل هؤلاء العمال لا وقت لديهم للكلام..

أصابه مس من الجنون، وغشيه إحساس بالغربة من كل جانب، سدت كلاب الشارع عليه الطريق، وهي تنبح ولسان حالها يقول:

مجنون أنتَ لما قررتَ أن تزور هذا المكان، ارحل فورًا يا شقي، الناس هنا شاردون، منشغلون، لا ينظرون ولا يتكلمون.

بعد لأي، عثر على ضالته قابعة في خدرها الأبدي.

لم يتبين ملامحها جيدًا، فهو لم يتفقدها منذ سنين، ولكن سؤرًا من البهاء لا تزال راسخة على مدخلها، وما تزال أشجار الليمون تفوح بعطر أخاذ بداخلها، ثم دق القلب لما عنَّ له حارسها المصون با محمد بسحنته الجبلية الفاتحة، ولهجته الشمالية المليحة، ولم يتعرف عليه، سأله باستغراب:

هل عرفتني يا رجل؟

حملق الحارس في عينيه ولم ينبس ببنت شفة..

قال السيد غريب لنفسه:

"ربما أصيب هذا الحارس بالزّهَايْمَر مثل كثيرين..".

لكنه تحدث معه بطلاقة، وكأنه يعرفه حق المعرفة...

فجأة، تدفقت أفواج من التلاميذ وأمطروا غريبًا بسيل من القبل الدافئة، فعاد له الأنس من جديد، وصفت سماؤه، نسي ما جرى له من الفتى وعمال البناء ومع حارس الثانوية، وما سمعه من كلمات موحشة على لسان ذلك الناطق باسم العمال وانزعاجه من نباح الكلاب الضالة على أطراف المدينة، لكنه أحس بالأنس يغمر قلبه، فقرر أن يسمي نفسه أنيسًا.

حين عاد إلى بيته المتواجد في قلب المدينة، رسم لوحة زيتية لفضاء المدرسة، وامتزجت الألوان وتدفق من اللوحة أنس جياش، الظلال تغازل الفراغات الممتلئة، فيمتع اللون الأخضر الذي تصطبغ به ساحة الثانوية العين، وتهز الخطوط البيضاء والزرقاء التي تصبغ بها الحجرات عنفوان المعرفة، ويمنح اللون الأزرق الذي تصبغ به السواقي والبرك الصغيرة الحياة للنفوس التواقة لحقنة من الجمال الطبيعي.

لكنه لم ينسَ محيط الثانوية، فحاكى بريشته حياة مدرسية باذخة، ولما انتهى من تشكيل لوحته، وقع على ظهرها باسم أنيس، ووطنها على جدار إحدى غرفه، ونام قرير العين بها.

في المنام، حلم برجل غريب يدخل البيت، ويتسلل إلى الغرفة محاولًا اقتلاع اللوحة من مكانها، حاول الرجل مرات عديدة، لكن اللوحة أبت أن تقتلع، فضاق الرجل ذرعًا بنفسه، وغادر في صمت، ولم يحرك غريب ساكنًا، وعاد إلى مضجعه ولم ينبس ببنت شفة.

في الليلة الثانية، تسلل الرجل الذي رآه في الحلم خلسة إلى الغرفة، واقتلع اللوحة من مرقدها وخرج، وغريب وزوجته والأبناء غارقون في سبات عميق وسار بها في جنح الظلام، كان مذعورًا، يجري في الطريق وهو يلهث من الخوف والهلع، وفجأة داهمته الكلاب الضالة التي صادفها غريب بالأمس في أطراف المدينة، وحاصرته ولسان حالها يردد:

"ما الذي أخرجك من مرقدك في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟"

رمى اللوحة على قارعة الطريق، وفر خوفًا على نفسه وحياته من بطش الكلاب، استمرت المطاردة سويعات من الليل، والرجل يقاوم، ورمى بجسده وهو يجري مسرعًا حتى ذاب ولم يعد له أثر، وظلت اللوحة طريحة الأرض، غريبة في الخلاء.

حينئذ، قرر أن يرسم لوحة أخرى بالألوان، فالأنامل التي أبدعت اللوحة الأولى جاهزة، والقريحة صقلها الزمن والأمل فوَّار لا يخمد في الأعماق، رمقته الزوجة فغارت من اللوحة، وهمهمت:

لا أدري يا زوجي العزيز سر هذا الإصرار؟ هل أنت غريب إلى هذه الدرجة؟

أمطرت الزوجة أنيسًا بركام من الأسئلة، فتذكر ركام الأتربة النائمة الذي صادفه في أثناء رحلة البحث عن ضالته في أطراف المدينة، فجأة طوقه إحساس غريب، ونظر إلى زوجته، فحضنها وقال لها متأثرًا:

الآن أدركت كنه الحياة... الأنس معي يلازمني كل لحظة وأنا غير مهتم، أنا مغفل... معذرة زوجتي... كنت قاسيًا معك... أنتِ لوحتي التي لم أفقدها، ولم يقتلعها أحد...

صار للسيد أنيس ظِلان يلازمانه... فاستظلَّ بهما... ولم يفقد ذاكرته.

سجين الأيام والحرية المفقودة[1]

عبد الصمد ساير

أيقظ جيل "z" في ذاكرتي خاطرة كتبتها عام 1997 بقيت حبيسة الأوراق لأنني كنت حينئذ أعمل في قِطَاعٍ الحرية فيه شبه منعدمة، ولا داعي للخوض في ذلك المجال لأنني أحترمه رغم القساوة التي كانت فيه والشطط من بعض المسؤولين كباقي القطاعات الأخرى، إلا أن خصالًا كانت فيه لو كانت في المجتمع المدني لرأينا مغربًا متحضرًا بكثير، على سبيل المثال خصلة الصرامة في تطبيق القوانين، الانضباط في أوقات العمل، التضحية وقت الشدائد...

وحتى لا يتسلل الملل في قراءة هذه الخاطرة المطولة، سأنتقي منها مختصر المعنى وأحسن البيان.

سجنتني الأيام أم أنا الذي سجنتها؟ فقدتني الأيام أم أنا الذي فقدتها؟ وهل الإنسان حر في صنع مستقبله أم أنه أسير لقيود الضرورة؟

[1] خاطرة كتبت سنة **1997**م، للكاتب المغربي عبد الصمد ساير.

إنها الثانية زوالًا، الشمس ساخن طورها، ساطع ضوءها، ونار الحسرة تتأجج في قلبي داخل أربعة جدران متقاربة بثقوب واسعة أعلاها، لست وحدي يوم دخلت هنا، وهنا قاعة مسدودة بباب حديدي عليه حارس عسكري مسلح، نعم إنه سجن الثكنة العسكرية حيث يقضي الجنود عقوبة ما أجرموا، كما أنف الذكر لم أكن وحدي، بل رجال وشباب يتقاسمون هَمَّ السجن. لم أتثاقل ساعتئذ في المجيء، لعلمي بالذنب الذي أصبت ويقيني دخول الحبس لا محال.

سجن أنا فيه، يمحو بداخلي كل المحاسن التي اكتسبتها من قبل، ويقتل في دم عروقي تلك النبضات الثائرة لنصرة المظلوم والأخذ بثأر الضائعين، لا أراه يتركني سدًى، بل يشحنني بالبغض والكراهية لكل ناقص منقوص وهو بالمكر موصوف، حتى الجنون الذي طالما استبعدته عن نصيب حياتي أراه اليوم وحواشيه تعض في حواشيّ، أرى الحياة قطعة من الشوكولاتة أمد لساني لألعق منها شيئًا، فيسقط ذلك الشيء من حر أشعة الشمس المتدفقة عليه. كنت صبيًّا أتطلع لغد أفضل بكل مواهبي، ولما أصبحت راشدًا بقيت المواهب وانزلق الغد، فلا زال كياني يشعر بتلك المواهب، وأبدل جهدي للحفاظ عليها عسى يومًا يناديني أهلًا وسهلًا.

من أنا؟! لأكون بالأمس الشاب الحر الطموح الذي يتطلع لغد أفضل، أبيت وأصبح الشاب السجين داخل الأربع، وداخل الوطن.

سَعِدَتْ بي الأيام قليلها، فمكرت بي كلمح البصر ثم رمت بي وسط جمع يهيئ لي سبل الانحراف أكثر من سبل الفلاح. أربعة جدران تضمني وتخبئني عن العالم الذي كرهت رؤاه، أربعة جدران متقاربة توحي لي شكل القبور، والقبور دُورنا قبل العبور، لكنها تُصمَّمُ وتُبنى بمعتقداتنا وأفعالنا، إن كان صاحبها تقيًّا فمبناها شاسع منور مبارك فيه، وإن كان صاحبها شريرًا فلا تسألن عن ضيق المبنى وظلمته وعذابه.

ذكرتُ القبور، وكنتُ من قبل قد خضتُ في حديث السجون، وليس ذلك إلا لأنني كما قالت حبيبتي الأولى: الطائرُ السجين. وهل يُعقل لطائرٍ أسيرٍ أن يجد متّسعًا لبناء قصره أو قبره؟

سجين الأيام أنا، أنتظر ثورتها على من مَلَّكه الله زمامها وألزمها حال السابقين من الطغاة والجبابرة كفرعون وهامان ... أولئك الذين غفلت قلوبهم عن صلاتهم، لا سهوًا عارضًا، بل انشغالًا دائمًا بمشاريعهم الضخمة وصفقاتهم الكبيرة، تبتلع نهارهم وتستنزف ليلهم. يراؤون الناس بما ملكت أيديهم من الفيلات المترفة والسيارات الفاخرة، ينسجون حول ذواتهم هالةً من الوجاهة والثراء، ويحسبون أن البريق يعوّض السجود، وأن الرفعة في أعين الخلق تغني عن الخشوع بين يدي الخالق. أولئك الذين عن صلاتهم ساهون، وقد أغرتهم الدنيا حتى ظنوا أن خلودهم فيها حقٌّ لا زوال

له. ثم الماعون الممنوع من جهتهم وهو المال العام وثروات البلاد، لا هم شغلوه لربح الخيرات وزيادة الأجر، ولا هم تاركوه لأولي الألباب...

حبس الله نسلهم وأبطل قواهم التي قبطوا بها زمام الدنيا الفانية، أما قواهم فمبنية على باطل تنتظر الحق ليعلو عليها ويطمسها طمسا كما قال ربنا جل وعلا " إذا جاء الحق زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا "

إني سجين الأيام فاقد الحرية، وبالرجاء في الله أخفف آلامي وكلي جروح وللأيام أبوح:

ثوري يا أيام ثوري

فالأمس خديعة ولك اليوم ثأري

أُتِم بشعري خاطرتي

فالنثر أرهقني بوصفه الشر

أستعين بالله هو ربي

غالب على أمره ونعم النصير

شرذمة تسلمت زمام الدنيا

والدنيا ابتلاء واختبار

عقولهم بعلم الدنيا انشغلت

ليلها بحب الهوى صارت نهار

سحقت نصيبها ونصيب الضعفاء

أنيابها لحقوق الغير تتكشر

ضاعت أجيال وخيرات أعوام

في بطون الطاغية وكفوف الأشرار

ما بالكم يا قوم بنار تلتهمكم وأموالكم

وعشيرتكم وكل عاتٍ كفور

رب عزيز منتقم وهو الرقيب

به سبحانه وبدينه أعتز وأفتخر

رحمتك ربي ...جودك ربي فضلك ربي!

أنا في السجن عاصر

أنا بالوضع كاره متكره

وبرحمتك رباه أنا صابر

ولا أنسى أن أحيط بمفهوم جيل "z"، إنه الجيل الذي ولد تقريبا بين عامي 1997 و2012 م، وهو أول جيل نشأ في عالم رقمي غارق بالتكنولوجيا. هذا الجيل مَثَّلَ أحسن تمثيل للاحتجاجات والمظاهرات السلمية بوعي لم يسبق له مثيل في المغرب، ورغم وقوع انفلاتات وشغب إلا أنهم تبرأوا من الأوباش الذين اقتحموا مراكز الدرك الملكي وعثوا في الأرض فسادًا، فقام ممثلو جيل "z" بفر وكر ثم واصلوا نضالهم بكل وعي ومسؤولية، حيث معالم التغيير بدت تلوح في الأفق بعد رضخ الحكومة لبعض مطالبهم المشروعة، وهنا أرفع القبعة إجلالًا لهذا الجيل، ويا حبذا لو ثاروا مرة أخرى على منصات التواصل الاجتماعي فقط يطالبون بتحكيم الكتاب والسنة بما أننا دولة مسلمة... والله المستعان.

دال نقطة[1]

صالح محمد الهلابي

استعدّت المدرسة لحفل تخرّج طلاب الصف الثالث الثانوي، وكان الجو مليئًا بالحماس والرهبة.

كل زاوية في المدرسة تشهد حركة لا تهدأ؛ المعلمون يضعون اللمسات الأخيرة، الطلاب يتسابقون لخدمة لجان التنظيم، بينما مدير المدرسة يراقب التفاصيل بدقة، يردد بلهجة صارمة ممزوجة بالحماس: «تذكّروا... راعي الحفل شخصية اعتبارية مرموقة، ويجب أن نظهر أمامه في أبهى صورة!»

---

[1] صالح محمد الهلابي كاتب روائي من السعودية، صدر له عن دار بسمة للنشر الإلكتروني، رواية بعنوان: الزلزال يضرب وكتاب: تم القبض.

أما خالد، فقد أُسندت إليه مهمة تقديم الحفل، لما عُرف عنه من قوة في الإلقاء وحضور طاغٍ على المنصات. ومع ذلك، كان قلبه يخفق بسرعة، فالمسؤولية ثقيلة، والحدث أكبر مما اعتاد.

حين أرخى الليل سدوله وبدأت الأنوار تضيء أرجاء المدرسة، توافد المدعوون من أولياء الأمور ومنسوبي إدارة التعليم، وقد علت وجوههم علامات الترقب. الجميع يترقّب لحظة وصول راعي الحفل الذي تأخر كعادة بعض الشخصيات البارزة.

وأخيرًا، توقفت سيارة سوداء فارهة عند بوابة المدرسة. ترجل منها رجل مهيب بملابسه السعودية الأنيقة، يقودها سائق آسيوي بملامح جامدة. سارع الحضور للسلام عليه وتحيته، فيما كان خالد يقف خلف الكواليس في حيرة، لا يعرف عن الرجل شيئًا يقدمه به أمام الجمهور. فجأة، وصله أحد المنظمين بقصاصة صغيرة كُتب عليها: «سعادة الدكتور...»

جلس الضيف في المقعد الأمامي الفخم، باقة ورد كبيرة موضوعة أمامه تكاد تحجب ملامحه المتجهمة. كان خالد يرمقه بين الحين والآخر، يحاول استشفاف شيء من شخصيته ليضيفه إلى مقدمته، لكن كل ما وصله هو تعليمات متكررة: «اذكر لقب الدكتور... لا تنسَ لقب الدكتور».

بدأ الحفل، وتدفقت كلمات خالد عبر الميكروفون بثقة مصطنعة تخفي ارتباكه. مرّت فقرات الحفل بسلام، وفي الختام اعتلى الضيف المسرح، ووشّح الخريجين بأوشحة التخرج، مبتسمًا ابتسامة باهتة للكاميرات. وبين أولئك الطلاب كان خالد، الذي أصر على التقاط صورة تذكارية معه.

بعد أيام، أبرز خالد صورته مع "سعادة الدكتور" في صدر مجلس منزله، فخورًا بها كأول صورة تجمعه بشخصية اعتبارية. كان يراها كل صباح فيتجدد إحساسه بالزهو، حتى جاء صديق والده لزيارتهم وتهنئته. توقف الضيف طويلًا أمام الصورة، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وقال:

«أتعرف هذا الرجل يا خالد؟ إنه موظف بسيط في قطاع خدمي، صحيح أنه يحمل دكتوراه في الأدب المقارن... لكن ليس كما تظن».

كان وقع الكلمات صادمًا. شعر خالد أن الهالة التي رسمها حول الرجل قد تهاوت فجأة. لكنه، في لحظة صمت عميق، أدرك أن ما رفع شأن الرجل في أعين الناس لم يكن منصبه ولا إنجازاته، بل تلك الكلمة الصغيرة التي سبقت اسمه: «الدكتور».

منذ تلك الليلة، عقد خالد العزم على ألا يتوقف عند شهادة الثانوية، وأن يسلك طريق العلم مهما طال. ومرت سنوات طويلة، مضنية، مليئة بالسهر والكدّ، حتى نال هو الآخر شهادة الدكتوراه.

كان نشوانًا كلما سمع طلابه ينادونه: «يا دكتور خالد». كان يشعر وكأنه حقق المجد.

لكن سرعان ما اصطدم بحقيقة مؤلمة: أن الشهادة ليست النهاية، بل مجرد بداية. اكتشف أن اللقب وحده لا يكفي، وأنه إن لم يقدم قيمة مضافة لتخصصه وعمله، فسيظل مجرد واجهة باردة، يزين نفسه بلقب أجوف، لا يسمن ولا يغني من جوع.

الرياض 2025/9/13م

بيتما قد تألم.. [1]

إدريس بكوش

لا زال لم يعرف حتى الآن لماذا غادر الأب الأم، وما هو السبب الذي جعله يقوم بذلك الفعل من غير أن يشعر أو يحس بتلك الجريمة التي ارتكبها في حق أطفاله الصغار....

إذن ما مصير هذه الأم والأطفال الأربعة من هذا التصرف غير المسؤول الذي سوف يقلب حياتهم إلى نار وحزن وغم، والأب راضٍ عن ذلك؟!

الشيء المحير هو أن الأب يرى ذلك ولا يحرك ساكنًا..

يا عجبًا لهذه الدنيا وما يحدث فيها من عجب!

كأن الأمور تسير على أحسن حال....

في نظري شخصيًّا لو طُرح عليَّ سؤال يقول: ما أكبر جريمة يرتكبها الإنسان؟ لقلت بصوت عالٍ دون خجل: (الطلاق ثم الطلاق)..

---

[1] إدريس بكوش كاتب مغربي، صدر له عن دار بسمة للنشر، مسرحية بعنوان: هنـــاك ذئاب جائعة، ورواية: سيحدثُ عندما تغيب ج1و2.

لأن الكلمة مرة شديدة المرارة، وفي نفس الوقت تقوم بهدم الأسرة والعائلة وتفكيك المجتمع، وهذا عكس ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم...

لقد مضت أيام وأيام، بل شهور وشهور على هذا الحدث، وبدأ الفقر والبؤس والحرمان يغرس أنيابه في الأم والأطفال، وهي ترى أطفالها يتمزقون جوعًا وألمًا حتى كادت عظامهم تبرز من تحت جلودهم...

يا للعجب من هذه الدنيا! دنيا خلقها رب الكون والأرض جميلة.. ولكن هذا الإنسان يفسد ما فيها من جمال!

اللهم إنا هذا لمنكر!

مع الأسف الشديد أن أباهم لا زال حيًّا يُرزَق، منزله هو وزوجته الثانية لا يبعد إلا بضعة أقدام عنهم.. يا للأسف!

لا زالوا على حالهم مدة طويلة من الزمن.. فكرت الأم طويلًا أي طريق تسلك كي تنقذ أطفالها المحرومين من هذا الزمن المكشوف وغدره الذي لا يرحم كل من كان ولا يشفق على أحد..

لقد قررت الأم أن تبحث عن عمل شريف كي تخرج أطفالها من الضياع والحرمان.

الآن أصبحت لا تطيق هذا الابتلاء الذي أصابها وأطفالها الصغار، واتخذهم فريسة؛ كلما جاع أخذ ينهش في أجسادهم متى شاء.

في المساء، وبعد تفكير طويل، قررت الأم أن تقوم باكرًا لتبحث عن عمل، وقررت أن تجعل منها أبًا وأمًّا في وقت واحد، تقوم بأعمالها داخل البيت وخارجه.

أتى الليل بأثواب حزينة سوداء بسطها على المدينة، ولم تبقَ إلا الكلاب والقطط جادة في البحث عن مأكل ومشرب لها.

هيأت الأم مضجعها وهي تفكر وتفكر، إلى أن نامت نومًا عميقًا. أثناء نومها، هُيِّئَ إليها أنها دارت المدينة كلها ولم تجد عملاً لائقًا بها، فاسودت الدنيا في عينيها.

حمدت ربها وشكرته واستسلمت لحالها.

قامت من فراشها على أصوات ديكة وهي تصيح من كل جهة معلنة بزوغ الفجر. توضأت فأدت صلاتها، ودخلت السكينة قلبها، فطلبت من ربها أن يعينها وينظر حالها.

أصبح الحال، وبعد تناولها كأسًا من القهوة، أوصت ابنتها الكبيرة برعاية الإخوة الصغار، وخرجت في عون الله تبحث عن عمل، راجية من الله أن يعينها ويرزقها من فضله.

بعد مرور وقت ليس بالكثير، بدأ صاحبنا، وهو أصغر سنًّا، يبحث عن أمه في البيت، فلم يجدها، فسأل أخته عنها:

فاطمة.. فاطمة، أين أمي؟

ردت عليه:

تعالَ، لا تقلق، ذهبت إلى السوق، سوف تعود.

رفعتها من الأرض وضمَّتها إلى صدرها، وهي تهدأ من نفسه.

بدأ الطفل ينتابه شعور هاجس لا يليق بسنه الصغير، فظن أنها ذهبت بلا رجوع، لأن ذلك ليس من عادتها الخروج في هذا الوقت من الصباح.

حزن حزنًا شديدًا، لأنه كان يحس بمعاناة أمه وغدر أبوه، فلم يجد أي حيلة لصغر عقله وضعف بنيته، فخرج يبحث عن صديقه ابن الجارة.

لعله يجد ما ينسيه.. خرج ينادي:

- سعيد... سعيد... تعالَ لنلعب...

رد عليه فرحًا..

- انتظر لأخبر أمي...

الطفل سمع كلمة أمي تنساب من فم صديقه فعاد من جديد إلى هواجسه وبدأ مغرقًا في ذلك إلى أن رجع صديقه فرآه منشغلًا، فقال له:

- ما بالك منشغلًا يا صديقي حسن؟!

لم يجب، فتابع ابن الجارة:

-لا تقلق معي كرة سوف ألعب معك...

نظر إليه صاحبنا بحزن وألم فقال:

-أمي يا صديقي خرجت ولا أعرف أين ذهبت... ربما قد ماتت؟!

رد عليه سعيد:

- ماتت؟! ومن أخبرك بهذا؟!

- عقلي أخبرني بذلك...

- لا... لا أعرف ما تقصد بعقلك هذا؟!

تابع كلامه:

- دعنا من هذه الأوهام، وارمِ الكرة، هيا ارمِ الكرة..

لعبا معًا قليلًا... الساعة العاشرة صباحًا.. والأم دارت المدينة كلها ولم تجد عملًا بعد...

لا شكّ أن البطالة متفشية في هذه المدينة... نعم البطالة...

يتبع..

ترنيمة الهادي [1]

عادل حسن الحسين

كَيْ تنْظُمَ الشِّعْرَ فِي بَحْرٍ بِلَا أُطُرِ ... قُمْ رَدِّدِ الشِّعْرَ مَوْزُونًا بِلَا وَتَرِ

وَاصْدَحْ بِمَا شِئْتَ مِنْ شِعْرٍ لَهُ نَغَمٌ ... وَارْسُمْ لَنَا الْبَدْرَ مُزْدَانًا عَلَى الصُّوَرِ

وَاقْرَأْ نَشِيدًا عَلَى أَبْوَابِ آمِنَةٍ ... وَافْرَحْ بِمِيلَادِ مَنْ يَدْعُو إِلَى الظَّفَرِ

وَاشْرَحْ صُدُورَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ لَهُمْ ... ذِكْرٌ جَمِيلٌ مَعَ السَّادَاتِ وَالْغُرَرِ

هَبُّوا إِلَى مَكَّةٍ مِنْ كُلِّ حَاضِرَةٍ ... لِكَيْ يُهَنُّوا قُرَيْشًا بِالْفَتَى النَّضِرِ

ذَاكَ الَّذِي جَاءَ بِالْخَيْرَاتِ مُبْتَهِجًا ... أَعْنِي بِهِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارَ فِي السُّوَرِ

وَهْوَ النَّبِيُّ إِمَامُ الْقَلْبِ مُرْشِدُهُ ... إِلَى النَّجَاةِ مِنَ النِّيرَانِ وَالْكَدَرِ

وَفِي الْمَدِينَةِ مَا أَبْهَاهُ مِنْ حَرَمٍ ... وَقُبَّةٌ تَحْتَهَا مُخْتَارُهَا الْمُضَرِي

وَالْيَوْمَ كُلُّ الْمَلَا فِي لَهْفَةٍ رَغِبُوا ... زِيَارَةَ الْمُصْطَفَى فِي طَيْبَةَ الذُّخُرِ

إِذْ جَاءَ عِنْدَ ضَرِيحِ الْمُصْطَفَى بَشَرٌ ... مُهَنِّئِينَ لَهُ بِالْمَوْلِدِ الْعَطِرِ

فَانْظُرْ هُنَاكَ تَجِدْ شَيْخًا يُصَافِحُهُ ... مِنْ خَلْفِ شُبَّاكِهِ حَيَّاهُ بِالنَّظَرِ

---

[1] عادل حسن الحسين، كاتب سعودي من مواليد محافظة الأحساء، صدرت له عـــن دار بسمة للنشر ثلاث دواوين شعرية.

وَانْظُرْ إِلَى الضِّفَّةِ الْأُخْرَى تَجِدْ وَلِهًا ... قَدْ مَضَّهُ الْيُتْمُ مِنْ غَيْبَاتِ مُنْتَظَرِ

وَانْظُرْ هُنَاكَ تَجِدْ أُمًّا تَلُوذُ بِهِ ... وَتِلْكَ سَيِّدَةٌ جَاءَتْ مِنَ السَّفَرِ

جَاءَتْ مُسَلِّمَةً فِي ذِهْنِهَا أَمَلٌ ... بِأَنْ تَرَى رَوْضَةَ الْهَادِي أَبِي الطُّهُرِ

كَيْ يَطْبَعُوا قُبْلَةً فَوْقَ الضَّرِيحِ بِهَا ... شَوْقٌ وَعِشْقٌ لَهُ فِي بَيْتِهِ الْخَضِرِ

وَالْكُلُّ فِي وَلَهٍ بَانَتْ مَعَالِمُهُ ... حُبٌّ بَدَا طَيْفُهُ يَسْرِي عَلَى أَثَرِ

يَا لَيْتَنَا مَعَكُمْ نَحْظَى بِتَزْكِيَةٍ ... كَيْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ الْفِرْدَوْسَ بِالدُّرَرِ

أمام المرآة: ميلاد الأمل (جلسات الكوتشينغ)[1]

إبراهيم لوكنا

سعيد تلميذ يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، وما زال يدرس في المستوى الثانوي الإعدادي العمومي.

يصرّح سعيد بحسرة: «أنا لست كباقي أقراني من التلاميذ»، وتعلو وجهَه مشاعرُ الحزن والأسى. لم يتمكن سعيد من حبس دموعه التي سالت لتعبّر عن أحاسيسه الخفية بهذه الطريقة الحزينة. يقف بثباتٍ وإصرارٍ رغم نحافته وضعف جسده، لكنه يقاوم كما تقاوم السفن البحرية الأمواج العاتية التي لا ترحم ضخامة السفن في يوم الإعصار.

كانت لحظة وقوف سعيد أمام المرآة قصيرة، ربما بضع دقائق فقط، لكنها تختصر حكايةً طويلةً من الألم. فرغم قِصَرها، تعكس تلك اللحظة قصةَ سعيد وذكرياته غير السعيدة عن حياةٍ قاربت

---

[1] إبراهيم لوكنا/ **Brahim Loukna** أستاذ / كاتب / كوتش ومدرّب معتمد دوليًّا بالمغرب، حاصل على الدكتوراه في الكوتشينغ والتنمية الذاتية من جامعة باشن العالمية المفتوحة بأمريكا.

عقدًا ونصفًا من الزمان، لم ترحمه كفرد، ولم ترحم طفولته وبراءته ولا نظرته إلى الدراسة والحياة.

يقف سعيد صامدًا. وكلما تذكّر لحظةً أليمةً من ماضيه سارع بالبكاء الغزير؛ دمعةٌ صغيرة تتبعها أخرى أكبر، فتمطر على وجهه الشاحب الحزين. تعبّر نبرةُ صوتِه الخشنة، وبصوتٍ مخنوق، عن معاناته بلطفٍ وهدوء.

سعيد يقف الآن ويحاسب نفسه، متسائلًا عن كل ما فعله حتى لا يكون مثل أقرانه الذين نجحوا في دراستهم والتحقوا بالمراحل التالية. أولئك التلاميذ الذين حققوا النجاح بجهدهم ومثابرتهم وإصرارهم وطموحهم وأحلامهم، شاركوه أيامًا وشهورًا وسنواتٍ في مؤسستهم التعليمية. لم يكن يبدو بينهم فرقٌ في أول نظرةٍ تراهم فيها مجتمعين في ساحة الإعدادية، لكن ما وراء المظهر يخفي دائمًا ما لا يُعرَف إلا بحديثٍ مباشرٍ أو تجربةٍ حقيقية تُشعرنا بما يعانيه سعيد. لم يعش سعيد طفولته كما ينبغي، بل ربما تجاوزها بسرعة البرق، قاسيًا مرارة الحياة واليُتم. فهو يتيمُ الأب والأم منذ عامه الأول؛ إذ فقد والديه في حادثة سير أثناء محاولتهما عبور الطريق إلى الجهة المقابلة، حيث اصطدم بهما سائقُ دراجةٍ ناريةٍ من النوع الكبير. لم يعرف سعيد معنى الأمومة ولا الأبوة، ولم يسعد بلقائهما أو بحنانهما. ومنذ ذلك الحين، صار يعيش مع جدّه وجدّته، اللذين كانا السند الوحيد له رغم ظروفهما المادية والصحية المتدهورة.

قدّما له جزءًا بسيطًا من طعم الحنين، وما زال سعيد واقفًا أمام المرآة، رغم كل ما مرّ به في حياته القصيرة التي علّمته معنى اليُتم والمعاناة.

لم يختر سعيد ما يعيشه اليوم. هذا الطفل البريء لم يجد سوى الحزن والعزلة من جهة، والعمل الشاق من جهةٍ أخرى، باحثًا عن لقمة العيش والاستمرار في الحياة ومحاربة الفقر والجوع والحرمان.

ما زال سعيد يقف صامدًا أمام المرآة، غير راضٍ عن وضعيته الحالية؛ وهو الذي قاوم أمواج المعاناة التي أخذت منه جزءًا من حياته وحفرت في نفسه جرحًا عميقًا قد يلازمه مدى الحياة. وأمام هذا الاعتراف بأسباب فشله الدراسي، تمكّن سعيد من تحرير طاقته السلبية التي كبّلته بسلاسل العزلة والحزن والحرمان العاطفي والمادي.

يدرك سعيد الآن، وهو أمام المرآة، شيئًا فشيئًا، بعقله الواعي وقلبه الصادق ويديه المقبوضتين، أن الماضي الحزين يجب أن يُدفن إلى الأبد بكل شجاعةٍ وثقة...

ومن خلال هذا البوح الصادق والعميق، يستعدّ سعيد الآن لِجمع جميع أفكاره المليئة بالطموحات والأهداف، ولتوحيد أحاسيسه ومشاعره الإيجابية، ليبدأ بدايةً جديدةً مفعمةً بالأمل نحو مستقبلٍ أفضل، ساعيًا إلى تحقيق ذاته وأن يكون أفضلَ نسخةٍ

من نفسه. سعيد يستعدّ لِاستقبال حياةٍ جديدةٍ تعده بالسعادة والابتسامة، وأن يكون شابًّا نافعًا صالحًا لنفسه ولمجتمعه. يجلس سعيدٌ على الأريكة مسترخيًا تمامًا، ويأخذ شهيقًا عميقًا مفعمًا بالأمل والطاقة.

ويخرج منه، ببطءٍ وانتظام، زفيرٌ يطرد كلَّ ألمٍ وحزنٍ وكآبةٍ اختُزنت في ذاكرته وقلبه، وقد جسّدت قسوةَ الحياة ومرارةَ الفقر، وعكست آلامَه وأحزانَه.

عندها بدأ سعيدٌ يصرخ بصوتٍ عالٍ، وبكامل وعيه ومشاعره: «منذ هذه اللحظة ستشرق شمس الأمل والطموح، وسأحلم بغدٍ أفضل». فتوجَّه سعيدٌ حالًا لأخذِ حمّامٍ منزليٍّ، ثمّ ارتدى أجملَ ملابسه وتعطّر بأطيبِ ما لديه؛ إذ يُعَدّ ذلك العطرُ مرسًى ورمزًا لإصراره ومثابرته نحو مستقبله الجميل.

لقد فهم التلميذ سعيد أن الإنسان لم يُخلق ليكون «لا شيء»، بل وُجدنا في هذه الحياة لنصنع لأنفسنا ولغيرنا معنًى، ولنكون نافعين للآخرين وللإنسانية جمعاء. فالحياة تحدٍّ، وتستمر الحياة...

اليوم، أصبح سعيد رمزًا للصبر والمقاومة والتضحية، رغم الصعاب وتحديات الحياة.

2/11/ 2025

حبيبتي... [1]

علي الحكماني

اقتربي منّي، وأصغي إليّ،

سأعترف لكِ...

صوتُكِ يأسرني،

مُشبَعٌ بالرغبة والأشواق،

وكلّما ولج مسامعي

تشكّلت غيمةٌ من الفرح،

وتفجّرت ينابيعُ الحبّ في داخلي،

ورقصتْ إبلُ أحلامي

صباحًا ومساءً...

---

[1] علي الحكماني، كاتب وشاعر من سلطنة عمان، بكالوريوس في الفقه وأصوله، محاضر في التنمية البشرية، صدرت له عن دار بسمة للنشر ستُّ إصدارات، آخرها كتاب: إضاءات في تطوير الذات.

فسبحانَ من جعل في صوتكِ

بعثي وحياتي...

حبيبتي، لا يزال صوتكِ هو ذاته؛

نبرةُ البدايات حاضرة،

ومشحونٌ برجفةِ أوّل تجربة.

مضت أعوامٌ وأعوام،

وانتصف العمر،

ونحن نحن...

دهشةٌ، واشتياقٌ، واندماج.

حبيبتي، لا أعشق صوتكِ فقط،

بل أعشق كلَّ ما ينتمي إليكِ في هذه الحياة:

كلماتكِ، أفعالكِ، قراراتكِ...

كنّا نسختين مختلفتين،

فأصبحنا نسخةً واحدةً

ملؤها الشغفُ، والاهتمامُ، والصدقُ، والوفاء.

حبيبتي، أنتِ أنتِ،

لا تجري عليكِ أحكامُ الزمن،

وأنا أنا...

ذلك الرجلُ المؤتمن

إلى ما لا نهاية.

الْعَنَاء [1]

إسماعيل سليمان

جَمِيلٌ لَهُ بَيْنَ الزُّهُورِ خَمِيلَةٌ ... أَطَلَّ كَبَدْرٍ يَكْتَسِيهِ بَهَاءُ

غَزَالٌ إِذَا مَا اخْتَرْتَ صُورَةَ رَسْمِهِ ... قَصِيدَةُ مَدْحٍ لَيْسَ فِيهِ هُذَاءُ

فَإِنِّي أَرَى خَيْرًا بِبَسْمَةِ ثَغْرِهَا ... كَحَبَّةِ قَمْحٍ يَحْتَوِيهَا خِبَاءُ

وَلَسْتُ مُغَالٍ فِي دَمَاثَةِ حُسْنِهَا ... هِيَ الشَّمْسُ رُوحًا لِلسَّمَاءِ ضِيَاءُ

تَمَهَّلْ صَدِيقِي لَا أَقُولُ تَخَيُّلًا ... فَهَذِي بِلَادِي لَمْ يَزُرْهَا جَفَاءُ

يُدَاوَى بِعِطْرِ الْيَاسَمِينِ عَلِيلُهَا ... يُضَافُ إِلَيْهِ عَنْبَرٌ وكِبَاءُ

كَأَنَّ عُيُونَ الْحَاسِدِينَ سِهَامُهَا ... أَصَابَتْ قُلُوبًا قَدْ بَلَاهَا هِدَاءُ

رَحَى الْحَرْبِ دَارَتْ مَا تَزَالُ تَسُومُنَا ... بِأَصْنَافِ ذُلٍّ يَعْتَلِيهِ غَبَاءُ

تَكَالَبَتِ الْأَعْدَاءُ بَعْدَ نَوَائِبٍ ... مَصِيرُ عَزِيزٍ إِنْ تَوَارَى الْإِبَاءُ

إِذَا نُشِرَتْ فَوْضَى بِأَرْضِ مَكَارِمٍ ... تَمَادَتْ بِهَا الْبَلْوَى وَحَلَّ قَوَاءُ

فَلَا الطِّفْلُ يَدْرِي مَنْ سَبَاهُ بِمَهْدِهِ ... وَلَا الشَّيْخُ يَنْجُو يَنْتَظِرُهُ شَقَاءُ

---

[1] إسماعيل سليمان، شاعر من سوريا، صدر له عن دار بسمة ديوان شعر بعنوان: كلمات على جدار الزمن.

فَتَاةُ عَلَا شَيْبٌ خَصَائِلَ شَعْرِهَا ... وَوَجْنَاتُ خَدٍّ قَدْ آذَاهَا الرَّثَاءُ

شَبَابٌ أَضَاعُوا مِنْ سِنِينَ حَيَاتِهِمْ ... قِتَالٌ، هُنَا حَقٌّ هُنَاكَ رِيَاءُ

يَكَادُ فَقِيرُ الْحَالِ يَنْعَى جُيُوبَهُ ... تُقَلِّبُهُ نَارُ اللَّظَى وغَلَاءُ

وَإِنَّ غَنِيَّ النَّفْسِ يَدْهَسُهُ الْأَسَى ... يَعِيشُ غَرِيبًا فَاقِدًا مَا يَشَاءُ

أَزُورُ نُجُومَ الْبَحْرِ عَلّ تُجِيبُنِي ... لِمَاذَا مَرَاسِينَا عَرَاهَا اهْتِرَاءُ؟

هَلِ السُّفُنُ الْبَيْضَاءُ طَافَ سَوَادُهَا ... أَمِ الرَّجُلُ الْقُبْطَانُ كَانَ الْوَبَاءُ؟

أَيَا ظَالِمًا يَكْفِيكَ جَوْرًا تَبِيعُنَا ... كَلَامًا وَفِي الْأَعْرَافِ هَذَا هُرَاءُ

أُخَيَّا! فَكَيْفَ السَّعْدُ بَعْدَ فَجِيعَةٍ ... وَفِي كُلِّ بَيْتٍ مَأْتَمٌ وَعَزَاءُ

تُعَاتِبُ مَكْلُومًا عَلَى ثِقْلِ حُزْنِهِ ... بِلَادٌ هَوَتْ وَالْآنَ يُرْجَى الْعَطَاءُ

أَيُذْرَفُ دَمْعُ الْعَيْنِ إِلَّا لِأَجْلِهَا ... وَهَلْ لِسِوَى الْفَيْحَاءَ يَسْمُو الْبُكَاءُ

دِمَشْقُ تَحَدَّتْ حَادِثَاتٍ بِصَبْرِهَا ... عَسَى السِّلْمُ تَلْقَاهُ، يَعُمُّ الرَّخَاءُ

دِيَارُ شَآمُ الْخَيْرِ تَبْقَى لِأَهْلِهَا ... سَيَأْتِي الْهَنَا مَهْمَا يَطُولُ الْعَنَاءُ

لوعة الفراق [1]

زينب العيناني

في صباح يوم الاثنين، وقفت أمينة في شرفة بيتها لتراقب زوجها الذي كان ذاهبًا في مهمة لمدينة أكادير. بقيت تراقبه وتلوّح بيديها. بادَلها التحية، لكن شعور الوحشة كان يتسلل لأعماقها، وكان يعكّر صفو مزاجها. لم تكن تعلم أنه الوداع الأخير. بعدما اختفى بعلها، دلفت إلى منزلها.

كانت تود القيام بأشغال البيت، لكن شيئًا ما كان يمنعها. أخرجت دفتر الذكريات، تصفحته، فوجدت نفسها تخط بأنامل مرتبكة: ما هذا الشعور الغريب الذي يكتم أنفاسي؟ أحس برهبة شديدة ترجّ كياني رجًّا، تُرى ما الخطب؟ سدّت دفّتي الدفتر، وأخرجت ألبوم الصور. تفقدت صور الزفاف، وكل هذا والشعور الغريب ما زال يراودها. بقيت تتطلع للفرحة التي كانت تعلو محياها ومحيا زوجها آنذاك. ذهبت إلى المطبخ وأعدّت فنجان قهوة.

---

(1) زينب العيناني، كاتبة مغربية، شاركت في الكتاب الجامع في نسخته الثانية: حين يُزهرُ القلم.

كل هذا والأفكار تتقاذفها. تذكرت زوجها وهو يقول لها: صُبّي لي القهوة، إني أحبها كثيرًا. تجرعتها على مضض. قلبها كان يشتعل دون سبب، والسكينة غادرت روحها من غير علة. جلست على الأريكة، وبدأت تشاهد فيلمًا كلاسيكيًّا مصريًّا. فجأة، رن الهاتف. سارعت لحمله وسمعت صوتًا يهتف: هل أنت أمينة؟ مات زوجك في حادث سير اليوم، ورقمك أخذناه من هاتفه النقال. اسودّت الدنيا في عينيها، رمت الهاتف وأجهشت بالبكاء. أدركت سبب الشعور الغريب الذي تلبدت به صفحة فؤادها. كانت النار قد اضطرمت في روحها.

أحسّت باختناق شديد. بقيت تصرخ وتصرخ حتى أُغمي عليها. لم تستيقظ إلا في ربوع غرفة المستشفى، حيث وجدت نفسها محاطة بعائلتها وعائلة زوجها. كانوا يدارون دموعهم حتى لا يزيدوا من ألمها، لكن هيهات، شيء ما انكسر بداخلها. رحل زوجها وسندها وشقيقها الذي لم تلده أمها. بقيت وحيدة، ألم الفقد يعتصر فؤادها. تذكرت لحظة الوداع، فبكت واحتضنت أمها وحماتها وباقي نساء العائلة لتُخرج الألم من قلبها. فالفقد مؤلم، وجرحه لم يندمل بعد. خرجت من المستشفى بعد أيام.

وبقيت عند والدتها. لم تعد تطيق الذهاب إلى بيتها، فكل ركن يذكرها بالفقيد. بقيت تلملم جراحها وتكفكف دموعها. وذات صباح شعرت بغثيان وأُغمي عليها. ذهبت لتستكشف السبب، وكم

كانت فرحتها عارمة بعد اكتشاف حملها. سبحان الله، عوّضها الله عن وفاة زوجها بأمير صغير سيتربع على عرش فؤادها. بقيت تحسب الأيام في انتظار مولودها. وانبلج صباح جديد بميلاد طفل كأنه البدر في اكتماله؛ مصباح أضاء حياتها بعد طول ظلام دامس. ضحك، فضحكت الدنيا لضحكته؛ وردة فاح عطرها. كان في حركاته وسكناته الأَنيس. عاشت معه كل لحظة من مساق حياته البهية.

أول كلمة نطقها: "ماما"، أول خطوة خطاها، أول بسمة، كل تفاصيله الجميلة وثقتها. كانت تذهب عند والده لتزوره وتحكي له عنه. مرت السنون. تقلب ياسر في أطوار الدراسة من الأولي إلى الابتدائي، إلى الإعدادي ثم الثانوي ثم العالي. كم كانت فرحتها كبيرة عندما حضرت تخرج ابنها من كلية الطب؛ فرحة لم يكن ينقصها إلا وجود فارسها المغوار الذي غادر مبكرًا حلبة السباق، تاركًا وراءه الشبل المكافح الذي سيظل يدود عن عرين والده حتى الممات. كان الحفل بهيجًا، وبدا ولدها فرحًا بنجاحه. تسلم جائزة التفوق وشكر كفاح أمه الرؤوم التي ضحت بشبابها ليدرس ويغدو رجلًا صالحًا مثل والده.

انتهت الدراسة، وبدأ العمل، وكلمات أمه ترن على مسامعه: أخلص في عملك! احترم وازعك الديني، لا تتحلّ البتة بالمحسوبية والزبونية! لتكن راعيًا ولا مرتشيًا! المرضى سواسية كأسنان المشط، فعاملهم

دون ميز طبقي أو عقدي! سمعتك هي البصمة التي ستتركها وراءك فحافظ عليها! اعمل صدقاتٍ جارية، فهي التي ستنفعك غدًا يوم الساعة! صاحب الأخيار وابتعد عن الأشرار، فهم أدران تلوث القلب السليم بالخبث والخلق الذميم! لا تظلم أحدًا فدعوة المظلوم زلزال يهُدّ مجد الظالم إذا رفع يديه في الثلث الأخير من الليل.

نبذة عن الكاتبة المغربية: زينب العيناني، أستاذة ابتدائي، حاصلة على الإجازة في الدراسات العربية، وعلى ماستر آليات تحليل الخطاب الأدبي. سبق وشاركت في كتاب "حين يزهر القلم" مع دار بسمة للنشر الإلكتروني. شاركت في العددين الأول والثاني من مجلة الريم المغربية. تكتب في مجلات الأدب العربي، ومجلة عطر، ومجلة نور الثقافية. شاركت في كتب تحت إشراف ملتقى كتاب العالم.

حكمة العجوز[1]

قصة قصيرة موجهة للأطفال

أريج منصور أبو حسين

في قرية صغيرةٍ هادئة، تحيطها الجبال الشامخة والسهول الخضراء، كانت تعيش فتاة جميلة تُدعى أمل. لم تكن أمل كباقي الفتيات، بل كانت تمتاز بذكاءٍ لامع، وبديهةٍ سريعة، وقلبٍ شغوف يحبُّ الاكتشاف والتجربة.

كانت تتنقّل بين الحقول، تُراقب الطيور، وتلاحق الفراشات، وتقطف الأزهار، وتطرح الأسئلة الكثيرة على نفسها عن كل ما تراه من حولها. غير أنها كانت عجولة، لا تصبر على شيء، تملُّ بسرعة، وإذا لم تنل ما تُريد في لحظتها، خمد شغفها، واعتراها الحزن واليأس.

[1] أريج منصور أبو حسين كاتبة فلسطينية.

وذات صباحٍ مُشرق، خرجت أمل إلى الحديقة كعادتها، تمشي بين الزهور، وتتأمل الأشجار العالية التي تعانق السماء. أخذت تنظر إليها بدهشة وهمست في نفسها:

– "يا تُرى كم من الوقت احتاجت هذه الأشجار لتصل إلى هذا العلو؟ كيف نَمَت بهذا الثبات والجمال؟"

وبينما هي غارقة في تأملها، وقعت عيناها على عجوزٍ وقور يجلس في ظل شجرة عظيمة. أثار فضولها، فاقتربت منه بخُطى خفيفة وقالت:

– السلام عليك يا جدي، كيف حالك؟

ابتسم العجوز وقال:

– وعليكِ السلام ورحمة الله، أنا بخير يا صغيرتي، الحمد لله على كل حال.

جلست أمل قربه، وسألته بعينين لامعتين:

– يا جدي، كنتُ أنظر إلى هذه الأشجار العالية، وأتساءل: كم من الزمن احتاجت لتصبح بهذا العلو والشموخ؟

ضحك العجوز بلطف وهزّ رأسه وقال:

– يا صغيرتي... لقد استغرقت هذه الأشجار سنين طويلة حتى صارت كما ترين. كل شيء عظيم في هذه الحياة يحتاج إلى صبرٍ وعناية، وليس بالعجلة يُدرك الإنسان ما يريد. إن الله –سبحانه– جعل لكل شيء موعدًا، وحكمة، وفائدة.

ثم سكت لحظة وأردف:

– ما رأيكِ أن أهديكِ شيئًا بسيطًا، لكنه يحمل درسًا عظيمًا؟

أجابت أمل بحماس:

– وما هي هذه الهدية يا جدي؟

أخرج العجوز من كيسه الصغير نبتةً صغيرة من الصَّبِر، وناولها لأمل وقال:

– هذه نبتة فريدة، ليست كبقية النباتات. إنها نبتة الصبر. ازرعيها في حديقتك، واعتني بها يومًا بعد يوم. فهي تحتاج إلى عناية، ورعاية، وانتظار. فإذا صبرتِ عليها، وكبرت بين يديك، ستمنحك ثمرًا لذيذًا، وشفاءً نافعًا، وستتعلمين معها كيف يكون الصبر مفتاحًا لكل خير.

أمسكت أمل بالنبتة بكلتا يديها، ونظرت إليها بإعجاب، ثم قالت:

– أشكرك يا جدي، سأزرعها اليوم، وأعتني بها بكل قلبي... وأعدك أن أتعلم الصبر مثل الأشجار.

ضحك العجوز برضا وقال:

– هكذا تنبت الحكم في القلوب، كما تنبت الأشجار في الأرض...

ومضت أمل في طريقها، تحمل النبتة بين يديها، وعلى وجهها نور جديد...

ابتسم العجوز وقال بصوتٍ هادئ تنساب منه الحكمة:

– يا صغيرتي... الصبر، والتأني، والإصرار، هي مفاتيح النمو في هذه الحياة. عليك أن تلتزمي الصبر ما دامت النبتة في طورها الأول، فهي لن تنمو في يومٍ أو يومين. بل تحتاج منكِ الاهتمام والرعاية الدائمة.

ثم أردف بنبرة أكثر جدّية:

– إن فقدتِ الصبر، فقدتِ الثمر. وإن يئستِ في منتصف الطريق، ماتت النبتة وضاع ما بدأته. لا تدعي الشغف ينطفئ، ولا تسمحي للملل أن يذبل همّتك.

خذي نفسًا عميقًا، واملئي صدركِ بالإرادة، اسقيها بحُبّ، واعتني بها بشغف...

فكما أن النبات لا يكبر إلا بالماء والضوء، كذلك الطموح لا ينمو إلا بالصبر والعمل.

ثم أشار العجوز إلى النبتة وقال:

– اجعلي الصبر ماءكِ، كلما عطشتِ إلى النتائج، اسقي نفسكِ به.

وكلما شعرتِ بالشوق لقطف الثمار، تذكّري أنها ستأتي في وقتها، إذا واظبتِ على الاهتمام والرعاية.

أخذت أمل النبتة بين يديها، وملامحها تضيء بالحماسة والتصميم. ثم قالت والعزم في صوتها:

– أشكرك يا جدي من أعماق قلبي... هذه الهدية لا تُقدَّر بالجواهر، وكأنها كنزٌ دفين من الحكمة، سكن قلبي وسأحمله معي دومًا.

عادت أمل إلى منزلها، والنبتة الصغيرة في يدها كأنها جوهرة ثمينة. كانت خطواتها ثابتة، ونظرتها إلى الأرض تغيّرت.

وما إن وصلت إلى حديقة منزلها، حتى جلست على ركبتيها، وبدأت تحفر في التراب بيديها الصغيرتين، بكل حنان وشغف. ثم وضعت النبتة برفق، وسقَتها بأول قطرة ماء من يدها.

نظرت إليها بحب، وابتسمت قائلة:

– سأهتم بكِ، وأمنحك كل ما أستطيع من رعاية. هذه بداية رحلتنا معًا...

ثم أسمتها اسمًا خاصًا في قلبها، وبدأت تُراقبها كل يوم، تسقيها، وتحدثها، وتتعلم من صبرها كيف تكون الثبات والعزيمة...

منذ ذلك اليوم، لم تكن نبتة الصبر مجرّد زرعٍ في الحديقة...

بل أصبحت رمزًا حيًّا في قلب أمل، تذكّرها في كل صباح أن الأشياء الجميلة لا تولد بالعجلة، بل بالصبر، والحب، والاستمرار.

وذات صباحٍ كانت أمل تسقي نبتتها كعادتها، اقتربت منها بهدوء، ولاحظت شيئًا عجيبًا...

ثمرة واحدة نضجت قبل غيرها، بلونٍ ذهبيّ لامع، لم ترَ مثله من قبل!

مدّت يدها لتقطفها، وقبل أن تمسّها، سمعَت صوتًا همسًا خافتًا ينبعث من النبتة:

– "لقد صبرتِ... والآن حان وقت الاكتشاف..".

اتسعت عينا أمل، وتراجعت قليلًا وقد انعقد لسانها من الدهشة!

هل كانت تتوهّم؟ أم أن للثمرة سرًّا لا يعرفه إلا من صبر حقًّا؟

أخذت أمل الثمرة بين يديها بحذر، وأحسّت بدفء غريب يسري من قلبها إلى أطرافها...

كأن الثمرة تخفي مفتاحًا لرحلة جديدة... ومغامرة قادمة...

ابتسمت أمل وقالت لنفسها:

– "ربما ما زالت نبتة الصبر تحمل لي مفاجآت... وربما حكمة العجوز لم تكتمل بعد!"

ثم نظرت إلى السماء، وهمست:

– "أنا مستعدة لما هو قادم..".

ولم تكن تعلم أن تلك الثمرة... كانت بداية قصة أعظم من كل ما سبق.

وفجأة، تذكّرت أمل النبتة التي زرعتها... لم تسقها منذ يومين!

شعرت بالقلق، وقفز قلبها من مكانه، فنهضت مسرعة، تركض بخطى متعثّرة نحو الحديقة، قلبها يخفق كأنها تخشى أن تجدها قد ذبلت أو تلاشت.

لكن ما إن وصلت، حتى توقفت فجأة وقد عقدت الدهشة لسانها...

كان المشهد بديعًا يفوق الخيال.

النبتة التي غرسَتها بيديها الصغيرتين، نَمَت وازهرت، وارتفعت قليلًا عن الأرض، كأنها تحتفل بالضوء والماء والحياة.

وفي قلبها ثمرة كبيرة مدهشة، بلونٍ ذهبيٍّ لامع، تشعُّ نورًا رقيقًا كأنها نجمةٌ وُلدت في وضح النهار...

كوْز من "الصبر" يلمع تحت أشعة الشمس، يُشبه قطعة من السماء سقطت على الأرض لتنير قلب أمل.

فرحت أمل فرحًا عظيمًا، وبدأت تدور حول النبتة وهي تضحك، ثم جلست على العشب تحمد الله، وقالت وهي تضع يدها على صدرها:

– "يا الله... كم أنا ممتنة لهذا الدرس... لقد تعلّمت أن الصبر لا يضيع سُدًى، وأن كل شيء جميل يحتاج لوقته لينضج ويُزهر".

ثم خطرت في بالها فكرة، فقامت مسرعة إلى بيت العجوز، تركض وقطرات العرق تتلألأ على جبينها، وقلبها مليء بالحماسة.

وعندما وصلت، وجدت العجوز جالسًا في مكانه تحت ظل الشجرة، وكأنه كان ينتظرها بفارغ الصبر.

وقبل أن تفتح فمها، ضحك العجوز وقال:

– "أهلًا بكِ يا زهرة الحكمة... لقد كنت أعلم أنكِ ستأتين بهذا الوجه المُضيء".

جلست أمل قربه وقالت بانفعال:

– "جدي! النبتة نمت! أزهرت! وأخرجت ثمرة لم أرَ مثلها من قبل! لكن... لماذا لم يحدث هذا إلا بعدما نسيت أن أراقبها وأنتظرها؟ لماذا حين توقفت عن التعلّق، تجلّت لي الأمنية؟"

ابتسم العجوز ابتسامة عميقة وقال بصوتٍ هادئ:

–"يا صغيرتي... لأن الأشياء تنمو عندما نمنحها العناية، لا عندما نحبسها في قفص التوقع. النبتة لم تكن تنتظر عيونك تراقبها كل لحظة، بل كانت تحتاج إلى ثقة، ورعاية، وصبر بلا استعجال".

ثم نظر إليها بعينين تشعّان بالحكمة وأردف:

–"النبتة تنمو لمن يحبها حقًّا... لا لمن يريد فقط أن يقطف ثمرتها. لو كنتِ تعجلتِ أو حاولتِ أن تسرعي نموها، لذبُلت. لكنكِ رغم نفاد صبرك أحيانًا، لم تتوقفي عن الاعتناء بها. وهذا هو الفرق".

ساد صمت جميل للحظة، كأنّ الزمن توقف. ثم قال العجوز:

– "الصبر ليس مجرد جلوس وانتظار... بل هو فنّ الحياد النبيل، الذي لا يتقنه إلا من امتلك الإيمان، والثبات، والشجاعة، ليستمر في بذل الجهد رغم الغموض".

أمالت أمل رأسها وقد تفتّحت في داخلها براعم الفهم، وهمست:

– "فهمت الآن يا جدي... الصبر ليس وقتًا فقط، بل هو طاقة داخلية تُنبت الثمار في القلب، قبل أن تُزهِر في الواقع".

هزّ العجوز رأسه وقال بفخر:

– "وهكذا نضجتِ... لم تعودي تلك الفتاة العجولة التي كانت تملُّ سريعًا. أصبحتِ فتاةً ترى الجمال في التدرج، وتفهم أن كل خطوة في الطريق تحمل حكمة، وأنّ ما نتعلمه من الرحلة، لا يقلّ أهمية عمّا نصل إليه في النهاية".

ومنذ ذلك اليوم تغيّرت أمل تغيّرًا حقيقيًّا.

أصبحت تتروّى في قراراتها، وتستمتع بالتفاصيل الصغيرة، وتمنح كل شيء حقّه من الوقت والرعاية.

في مدرستها، لم تعد تستعجل الإجابات، بل تفكّر، تحلّل، وتفرح بكل لحظة فهم جديدة.

في اللعب، أصبحت تضحك من قلبها، دون انتظارٍ لشيء... فقط تستمتع بما بين يديها.

وأدركت أن أجمل الأشياء في الحياة لا تأتي بالعجلة... بل تأتي بالصبر، والمثابرة، والإيمان.

وفهمت أن طريق النجاح ليس مفروشًا بالسهولة، بل ممتلئ بالتحديات، لكن من يتحلى بالصبر، يُكافَأ في النهاية بما يفوق التوقعات.

وفي كل صباح، كانت تسقي نبتة الصبر، لا لأنها تحتاج الماء فقط، بل لأنها أصبحت رمزًا حيًّا في حياتها...

تذكّرها دومًا بأن الثمار الأجمل تأتي بعد عناء، وأنّ من صبر نال، ومن نال شكر، ومن شكر نما.

النهاية... وبداية جديدة في قلب أمل.

بصيص من أمل[1]

عبد الله بن سعود الحكماني

-1-

أسرقُ منه النظرة بين الحين والآخر في غفلة من الحاضرين والحاضرات. أحيانًا تطول نظرتي فيه، فأشاهد وجهه الوضّاء وهو يتحدث مع رفاقه، وأحيانًا لا أستطيع إلا أن ألمح جزءًا من ذلك الوجه دون أن أتأكد من أن صورته سترتسم في خيالي أم لا؟!

-2-

لا يعنيني كلُّ مَن في تلك القاعة إلا هي. أتفقدُ جمالها الأخّاذ من وجهها إلى كفيها، وصولًا إلى جسدها المغطى بالثوب الأسود، ضاربًا بكل عُرفٍ عرض الحائط. ما يمنعني فقط هو تلك الحواجز

---

[1] عبد الله بن سعود الحكماني، شاعر وكاتب من سلطنة عمان، ماجستير في النقد الأدبي. صدر له عن دار بسمة للنشر اثنى عشرة كتاب، آخرها كتاب بعنوان: مع عشاق الإبل: حوارات ثقافية.

البشرية التي تحول ما بيني وبينها، وعندما تزول تلك الحواجز، أعاود مشاهدتي الماتعة في حديقتها الغنّاء.

-3-

كان الوقت قصيرًا جدًا، وكأنه البرق الذي يلمع أمام العين في ليلة ماطرة ومن ثم يختفي.

-4-

أخذتني الحياة إلى حيث تريد لا إلى حيث أريد، فاستجبتُ للحياة بقلبٍ راضٍ ومطمئن.

-5-

رحتُ أبحث عنه في المقاهي الشعبية والمراكز التجارية في ربوع المدينة، وأنا التي لم أبحث عن رجل منذ أن ولدتني أمي! لكنني التمستُ لنفسي العذر، فلعله بصيصٌ من الأمل الذي أفتقده.

-6-

ذات مساء، وأنا على طاولة المقهى أتناول قهوتي الساخنة وأفكر في مواضيعي الأكثر سخونة، دون أن أعير تلك الفتاة أيَّ اهتمام، وفجأة أرى ذلك الوجه القمري أمامي.

-7-

كنتُ في رحلة بحث لمدة ليست بالقصيرة، وعلى وشك أن أنهي بحثي

هذا وأركن إلى اليأس. فكرتُ في أخذ جولة مسائية للبحث عنه في مقهى لم أزره سابقًا. كما أني ربطتُ وجوده بالمقهى من خلال معلوماتي عنه أخيرًا، وعن طريق بعض صديقاتي، بأنه شاعر؛ والشعراء لهم علاقة وطيدة بالمقاهي منذ أن ظهرت في العصر الحديث بداية بأوروبا ومن ثم بالعالم أجمع بما فيه وطننا العربي. رأيته وجهًا لوجه وهو على الطاولة يرشف قهوته، ويخطُّ على ورقة بيضاء أمامه بعضًا من الحروف ظننتُ بأنها قصيدة جديدة. كاد قلبي أن يسقط من قفص صدري على الأرض، ولكنني حاولتُ أن أضبط مشاعري وأكسر التوتر بإلقاء التحية عليه فقلت: (السلام عليكم شاعرنا... كيف حالك؟ عساك بخير...).

-8-

سقط كوب القهوة من يدي قبل أن أرد التحية بمثلها أو بأفضل منها، لكنني رغم ذلك استطعتُ أن أتجاوز محنتي وأرد التحية دون أن أضيف شيئًا عليها.

-9-

طلبتُ قهوتي وانتظرتُ أن يحدثني عن أي شيء يرغب في الحديث عنه، ولكنه بعدما أقسم بأن يدفع ثمن القهوة عني لم يقل شيئًا، بل واصل الكتابة في ورقته البيضاء، وبين حين وحين يرميني بسهم عينه كما يرمي الصياد غزالًا، أو ربما يستمد مني مادته لاستكمال القصيدة التي بين يديه.

-10-

مزقتُ الورقة الأولى التي كتبتُ فيها عن الغياب، وحوّلتُ القصيدة إلى موضوع المفاجأة الذي حدث.

-11-

لملمتُ ذاتي وغادرتُ المكان على أمل أن أعود إليه بحثًا عن بصيص من الأمل.

-12-

أكملتُ القصيدة في اللحظة ذاتها، وطويتُ الورقة ثم وضعتها في جيبي، وغادرتُ المقهى على أمل أن أعود غدًا وأستعد لتسليم الورقة إليها في حال زارت المقهى مرة ثانية.

-13-

أصلُ المقهى في حدود الساعة الثامنة بعد صلاة العشاء، وإذا به على نفس الطاولة في نفس المكان وبنفس الوضعية تقريبًا، إلا أنه في هذه المرة يضع أمامه كتابًا ويقرأ فيه بطريقة تجعله وكأنه منفصل عن كل ما حوله من العالم. حينها تذكرتُ نصيحة واحدة من زميلاتي أثناء حديثنا عن أمور الزواج، حيث نصحتني ألا أتزوج شخصًا قد تزوج سابقًا، وألا أتزوج من قارئ نهم للكتب. وقلتُ في نفسي وأنا أراه بهذه الحالة من الاندماج مع الكتاب والانفصال عن العالم: كيف ستكون حياتي معه في حال أصبحتُ له زوجة؟!

-14-

رفعتُ بصري عن الكتاب قليلًا وإذا بها تدخل المقهى. ألقت التحية ورددتُ بعشر أمثالها، ثم أقسمتُ بأنني سأدفع ثمن القهوة وهي وافقت على مضض وطلبت قهوتها. كان الكتاب على وشك أن ينتهي ولم يتبقَ إلا بضع صفحات، فلم أستطع أن أترك الكتاب من أجلها قبل أن ينتهي. وحين أنهيت قراءة الكتاب رفعتُ نظري إلى طاولتها، ولكنها غادرت المكان دون أن أشعر!

-15-

سحبتُ نفسي من المكان معلنة المغادرة الأبدية عن هذا المخلوق الذي تأكدتُ بأنه لم يخلقه ربه لي، بل خلقه للكتب. وعندها انتهى بصيص الأمل، وعدتُ بعد رحلتي هاته بخفي حنين.

أقنعة على الرف[1]

عبد العزيز ادغوغ

أقنعة عديدة صمدت لسنوات مديدة، وبدت بملامح البراءة، وأخفت خلفها الغدر والدناءة. تُظهر لك صدقًا ومودة، وتمنحك حنانًا وبهجة، وتستقبلك بابتسامة عريضة في كل لقاء أو زيارة. تُعطيك عناقًا وتعزية عند كل خسارة أو فاجعة، وترسل لك وردة وهدية في كل عرس أو مناسبة. تُسديك النصيحة، وتجد عندها الرأي والبشارة. يتشاركون معك الحلوة والمرة، ويسندون ظهرك في كل خطوة، أملاً في بلوغك القمة، ويدعون لك بالهداية والتوبة وتحقيق أهدافك النبيلة. يذرفون في أحزانك دمعة، وينشدون في أفراحك لازمة أو قصيدة. لا تُخفي عنهم خبرًا ولا سريرة، وتنفق عليهم ذهبًا وفضة. فمنهم أفراد من العائلة، وآخرون من جماعة القبيلة، وبعضهم رفاق الدراسة، وثلة تشاركت معهم الوظيفة.

هي أقنعة كثيرة رُصّت في رفوف معنونة، يختارون منها وقت الحاجة: براءة ورقة، صداقة وزمالة، نُصح وإشادة، خوف وغيرة، تعاطف ومودة، سرور وبهجة، صدق وأمانة، حب ونزاهة، صفاء وعدالة، في

[1] عبد العزيز ادغوغ، كاتب مغربي.

الرخاء والشدة، بعد النجاح أو الخيبة. انسج على غرار الجملة فقرة أو عشرة، ثم ابحث في معاجم اللغة العربية عن نقيض ما كُتب في السطور السابقة.

خلف كل الأقنعة حقائق مخيفة وصادمة، فكل المشاعر زائفة، ونظرات العيون فارغة، وتلك ابتسامات ملوّنة، وأحاديث اللسان مُزيّنة بلحن النفاق والخديعة. ودموع الحزن المُذرفة دموع تماسيح جائعة تبحث دومًا عن المصلحة كلما سنحت لها الفرصة، بينما أنت لا تزال في غفلة، وتتصادق مع الأفاعي القاتلة بنيتك الصادقة، لتسقطك بالضربة القاضية في غياهب الحزن والضلالة.

يا رفيق القلم والشمعة، ويا رقيق المشاعر والحاسة، حذارِ من كل ابتسامة عابرة، حتى وإن أظهرت لك بياض أسنانها اللامعة، فبعض الأفاعي المُجلجلة في ملمسها رقة ونعومة، ولَدغةُ سمِّها فتاكة وقاتلة، ولا تدري متى ترديك جثة هامدة، وترتدي السواد في بذلتها الأنيقة يوم جنازتك المُشيّعة، قبل أن تجلس على المائدة لتأكل وليمة شهية، وتروي قصصًا عن شهامتك الخالدة. هذه نصيحة من طبيب عاش التجربة، ولا يزال يداوي جروحه الغائرة بعد سقوط الأقنعة وشروق شمس الحقيقة الغابرة.

على حافة الحياة... أبحث عني[1]

ابتسام عبد الرزاق

حين تكتشف أنّه لا حياة لك رغم أنّك حيٌّ تُرزق، فلا داعي للهروب؛ فقط قِف وقل: ماذا صنعتُ في هذه السنوات التي مرّت؟ وماذا سأصنع حين أكبر؟ الجواب صعب، وأشعر بهذا الثقل...

لكنّني تقبّلته كما تقبّلتُ اسمي رغمًا عني؛ لا حلّ لي وسط هذه الحتميّات: وجودي، اسمي، أسرتي... كلّ شيء يعنيني، لكنّه ليس من اختياري. ربّما يليق بي، لذلك صبرتُ كصبر الأرض على حمل البشر، مراعاةً لعدّة أشياء، كأمواج البحر التي تنتظم مثل سرب خيول وهي تركض.

عادةً ما أقول: من أنا؟ لكنّني الآن بدأتُ أعرف نفسي من حينٍ لآخر، بفضل الكثير والقليل. إنّي لا أضيّع شيئًا ولو كان بسيطًا. آسفة يا دنياي، إنّ أفكاري عادت إلى الظلام وفقدتُ جلَّ الممرّات، والتي تلت كانت مليئةً بالأخطاء. كلّما فكّرتُ أدركتُ أنّ ما بإمكاني أن أعمله قليل... وما إن حلّت الساعة فجرًا حتّى بالكاد أتنفّس.

---

[1] ابتسام عبد الرزاق، كاتبة مغربية.

عقلي يقول: «دعيني أُخمِّن»، وأشعر بقلبي سيقف وهو يتكلّم: «ليس لي سوى كلماتِكِ برهانًا ضدّكِ». وأنا يجب أن أُطيع، في التفكير والتقرير والتقدير. قد يكون أحدُهما مخادعًا، أليس كذلك؟ لا يمكنني أن أحكم لرأيٍ واحدٍ منهما؛ الأوّل سيّد الحياة، والثاني كنز الحياة، ولا حياة لي معهما.

كنت أندهش، وما زلت، فكلانا مجرّد عبيد. لستُ أتمنّى أن يتحقّق كلّ هذا الاستقرار؛ صدمةٌ تجتاح معظم جسدي، فأميل إلى الناحية الأخرى. على مرمى البصر توجد حجرة، كلّ الجهات متفرّقة كمعظم الأوقات. رمقتُ شبحًا هناك؛ ربّما كان مهمًّا في نظري، ربّما... هذا ممكن، لكنّه مجرّد رأيي، فمن يدري؟

وأنت، ماذا دهاك؟ هل المكان هادئ هنا دائمًا؟ نحن جزءٌ من هذه البلدة، وسنكون أصدقاء. أتستطيع تقبّل الحقيقة؟ أنا أحبّ هذا العالم، وهذا أفضل مكان يجمعني بعالمين مختلفين: واحدٍ يقدّس الصرامة كأستاذي الخيالي، والثاني يعشق المغامرة كبطلي اللامتناهي.

إذًا كيف لي أن أسير وسط هذا الطريق؟ لديّ قناعة خاصّة، بل سخافة... لا يهمّ. يمكن أن أمضي بقيّة أيّامي داخل سجنٍ كان هناك، لكنّني أريد أن أعيش هنا. لستُ أفهم تمامًا ما أعنيه بكلماتي

هذه، ولا أريد أن أفهم. انظروا إلى حبّات الثلج تتسارع، تكبح غضبها بصعوبة، تريد أن تهرب مثلي، وأنا سعيدةٌ بهذا.

إنّه فقط هراء، لكنّني أنتمي إلى هنا. فلماذا لا تتركني أفكاري أعيش بسلام؟ انظروا، ها قد فُتِحَت الأبواب، وأنا متّجهةٌ بابتسامةٍ متجهّمة. حين أقف، سيقف كلّ شيءٍ كان لي ولم يولد لغيري. كلّ أنفاسي نفدت، ومنطقي كالألماس يشتعل، أمّا أفكاري المتمرّدة فستجد دائمًا طريقًا لخلق الأعذار كما تعلّمت.

لا أنا جميلة.. ولا أنت تراني[1]

قصة قصيرة بقلم: هيفاء الشوا

(1)

قصتهم قديمة حديثة.

لا، قصتها "هي" وحدها قديمة جدًّا.

قديمة قِدم حواديث الغرام الموجعة الخالية من السعادات النمطية للمحبين. تلك الحواديث التي تبدأ وتنتهي في ثنايا قلب طرف واحد وحيد. يحكي قصته عن نفسه ولنفسه بصمت. لا يمتلك حتى رفاهية البوح، فما بالك بالتباهي بامتلاء القلب بفيض من ملابسات حب أول قد يكون الوحيد، أو حتى الأخير.

وعلى غير توقّع، تجبرك بعض الحكايات على مغادرة مقعد المشاهدة، وتزج بك دون استئذان نحو خشبة مسرحها كي تلعب دورًا ثانويًّا غير مهم في أحداثها، دور قصير، لكنه ثقيل، كضيف يزورك دون إخطار وينسى أن يغادرك.

---

[1] هيفاء الشوا، كاتبة من فلسطين.

أتت من عائلة مفرطة في العزلة. أخالها قدمت إلى الدراسة بعد مفاوضات مضنية وبموافقة تحمل تهديدًا واضحًا: "تذهبين هناك للدراسة فقط، لا وقت لديكِ لأمور أخرى". وضوح يجسد ثقافة تحديد المساحات المسموحة والمتاحة في حدود الاندماج في حياة مختلفة، والمواطئ المسموحة لأقدامها ولعقلها ولقلبها بالتبعية. أرسلوها وتركوها وحدها كي تعايش ذاك الارتباك اليومي ما بين تلك القوانين وقوانين المكان الجديد حيث يتقاسم الشباب والصبايا تفاصيل الوجود معًا، وتفاصيل الأفكار والمشاعر. لكنها في النهاية تواجدت، وأصبحت مكونًا فاتنًا في ذاك المكان وفي حياتنا جميعًا. تواجد صامت، حزين، باهت. تتحرك بين هنا وهناك كتمثال آدمي جامد، يسير فوق سطح الماء دون أن يظهر عليه أي اهتزاز أو حركة أو مؤشر يدل على الحياة.

اجتهدت لمرات عديدة كي أستدرجها نحو حوار مقتضب: "كيف حالك؟"، "صباح الخير"، أو غير جمل تترجم رغبتي في الاقتراب منها، لكن عيونها كانت دومًا تجد مسربًا للهروب، والرد كان دائمًا على قدر المبادرة... لا أكثر!

ورغم ذلك، فقد استشعرت إدراكها لمحاولتي، ورغبتي الصادقة في الاقتراب منها ومن عالمها المنزوي ومن وجدانها، لعلي أكون أول المحظوظين برؤية طيف ابتسامة ما على وجهها الحيادي السمات، فأسجّل إنجازًا لي ولها. لي بنجاحي بالمحاولة، ولها بكون وجهها تعرّف

للمرة الأولى على إحساسه بحركة الابتسام، فيغويه ذلك برغبة ولو صغيرة بمعاودة التجربة.

ونجحت المحاولة!

ربما أذهلتني شمولية النجاح، إذ إنها، وبدون مقدمات، باحت لي، ليس بأسباب جمود وجودها وبؤسها، إنما بحبها، حبها له. هو... ذاك الذي دخل إلى حياتها، فزادها بؤسًا على بؤس، وانكسارًا على انكسار.

(2)

تحبه بهيام متعب، بتعاسة.

يستحوذ وجهه الذي رأته ملائكيًّا، وبشرته البيضاء المنمّشة وعيونه الزرقاء -وهي السمراء بلون الخشب الذي أبهتته عوامل الزمن- يستحوذ على خيالها، وبات هو مرتكزًا محوريًّا في يومياتها، هو أولًا، ثم تحاك دوائر التفاصيل الأخرى حوله. وأصبحت تراه بعين قلبها، تحمله معها في كل لحظة، حتى وإن لم يسعفها حظها الباهت برؤيته مارًّا، أو ملوّحًا بيده لشخص ما، أو إذا استقر نظره على بقعة ما في محيطها. يؤلمها قلبها لهول ضرباته في جنبات تكوينها النحيل، حتى تخشى وتخجل من أن يلحظ أحدنا عدم ثباتها واهتزازها.

لكن هو... أبدًا لا يراها!

وأصبحت تزورني حيثما أكون، كي تبوح بشيء ما، أي شيء: "رأيته اليوم يحمل قهوته ويمشي..."، "كان مارًّا بالقرب من الكافتيريا"، "وقف ظهرًا يتحدث مع عمرو"، ... أي شيء عن أي لحظة!

وجاءت في ذاك اليوم تحمل ورقة. صبّت فيها بحور سنوات من الكتمان: "كتبت له شعرًا"، قالت.

كلمات غير مفهومة، غير مترابطة، مبعثرة المعاني، خلاصةُ أوجاع لا أمل منظور من انتهائها. تلتها على مسامعي بشجاعة مبهرة، تحبس بحزم شديد تألّق مشروع دمعة لم تردها أن تتكشف.

"أعطه إشارة"، قلت مشفقة. "لا تُبوحي، فقط مرّري طيف إيحاء، لعله يظهر موقف ما، رفضٌ قاطع أو ربما....."

كنت موقنة بأنها لن تفعل، أغلالها المتراكمة سوف لن تعتقها. وأما انكسارها، فقد جردها من كل أداة قد تساعدها في استكشاف أي إشارات صد أو تجاوب.

وغادرنا -هي وأنا- ذاك المكان، وتلك المرحلة، وذهبت كل منا تسير في تفاصيل قدرها. زارت مخيلتي مرة أو مرات. زارتني هي وروحها المنكسرة، حتى جاءني ذاك الخبر الذي أخرج القصة من سراديب الذاكرة وأسقطها بقوة كمن يضرب ملفًا قديمًا فوق سطح مكتب متهالك، فتتطاير منه طبقات من غبار الزمان.

فقد مات أزرق العينين!

مات، دون مقدمات، دون أن يعرف، دون أن يراها!

مات وبقيت هي، عالقة في تلك القصة، تحمل في روحها ثقل قضية كتب لها ألا تُحل، أبدًا.

وتأبى قصتهما -أقصد قصتها وحدها- أن تغادرني. وتبقى رابضة كالأسد المتربص في زاوية معتمة من زوايا الذاكرة، تبقى كحزن ملعون نثرته هي في وجهي، يوم باحت لي بحبها وبؤسها، فأدخلتني معها في سراديب حكايتها، وفي دائرة انكسارها. ولا زلت حتى اللحظة ألقاها في كهف ذاكرتنا المشتركة.

لا تتركني![1]

قصة قصيرة بقلم: عبد السلام الخلقي

كنتُ أسير في أحد الشوارع لا أعرف إلى أين أذهب، ولا من أين جئت، تائهًا في الدنيا.. كان أهم شيء عندي هو التمتع بشهواتها سواء أكانت حلالًا أم حرامًا.....

فذلك ليس بالشيء المهم في قاموسي.

وفجأة!!! وأنا أسير منكس الرأس، مشتت الفكر، أسحب أرجلي سحبًا، وكأنني أقتلعها اقتلاعًا، اصطدمتُ بشخص واقف أمامي، بادرني فقال: يا أخي ما لك هكذا؟؟

عابس الوجه!! تسير بهذه الخطوات اليائسة.. ما بك يا أخي؟ حدثني لعلي أكون البلسم الذي يشفي جراحاتك.

فتملكني حبٌّ شديدٌ لهذا الشخص الرفيق.. كيف لا، وكلامه قد أطفأ بعضًا من نار عذابي.. يااااااااه، قد كنتُ أحس بانقراض

---

[1] عبد السلام الخلقي، كاتب يمني.

أمثال هذا الشخص من هذه الدنيا التي أصبحت كغابةٍ كلٌّ لا يهمه سوى نفسه.

عندها انفتح له قلبي ففتحتُ له صفحة ذكرياتي، وذكرتُ له ما يؤرقني، فما لبث أن ربتَ على كتفي قائلًا: أظن أن الوقت سيطول.. لنذهب إلى مكان آخر نكمل حديثنا فيه، وأقترحُ أن يكون المسجد هو ذاك المكان، ألا تشاركني الرأي يا صديقي؟؟

أحنيتُ رأسي بالموافقة، وهناك فصّلتُ له قصتي تفصيلًا، فقابلني والابتسامة ترتسم على شفتيه قائلًا: إن الله يغفر الذنوبَ جميعًا، فما عليك إلا التوبة والعودة إلى الله، كانت كلماته بردًا وسلامًا على قلبي.

ثم أدركنا الوقت، فودعتُ صديقي وقد توقَّد في قلبي نورُ الإيمان وأصبحت أشعته تخترق شغافه.

بحمد الله كان ذلك الشخص سببًا في هدايتي، فصرتُ أؤدي الصلاة في أوقاتها، محافظًا على شعائر الإسلام وأخلاقه.

ومرَّت الأيام ودارت الشهور دورتها، وفي يومٍ من الأيام، وفجأة!!!!!!!!! وأنا أرنو إلى الشارع، لمحتُ صديقَ العمر، أو بالأصح صديق السوء، ومعه رفاقه، فأخذوا يحيطون بي من كل جانب، فسلّم عليَّ قائلًا: لا لا يمكن أن تكون أنت؟؟

ما الذي حلَّ بك يا صديقي؟ ماذا طرأ؟ إنني ألحظ فيك تغيرات!! كأنك قد تمغنطتَ بمغناطيس التدين!! (قالها وهو يقهقه وكأنه سمع نكتةً سخيفة)، فأجاب آخر: لا تشدد على نفسك وعش حياتك. عندها أخذوني مستغلين أني حديث عهدٍ بالهداية، فدخلنا في نقاشٍ طويل أخّر علينا بعض الصلوات، وأصبحوا يداومون الجلوس معي حتى انتقلتُ إلى طور إضاعة بعض الصلوات، فأحسستُ أني واقع بين ذئاب مفترسة في مسلاخ بشر.

كانت حالتي المادية لا تسر صديقًا، فدخلوا عليّ من هذا الباب، فقالوا -بعد أن حاكوا خيوط مكرهم- لماذا لا تنضم إلى عصابتنا؟؟ فأجبت معترضًا: ولكنكم تسيرون في طريق الهاوية. أجاب أحدهم: ستدر عليك ربحًا وفيرًا!! وردَّ آخر: ستتغير حياتك تغيرًا جذريًا، وعقَّب ثالث: ستودع حياة الفقر نهائيًا.

فانجرفتُ معهم في هذا التيار، وبدأت أتهاون في الصلاة شيئًا فشيئًا حتى تركتها بالكلية، فأصبح يومنا على الجوال نتتبع ما يغضب الله.. مزامير وخمور... وسهر ورقص ومجون... ففكرتُ في أمري: ما نهايتي؟ حفرةٌ صغيرة.. ظلمة، عذاب، بعث وحساب، نار وعقاب؟؟

فبدأت أخاطب نفسي وأعاتبها.. يا ويلتي، أأنا مجنون؟؟ ما الذي أعادني إلى هذا المستنقع الذي كنتُ قد نجوتُ منه؟

وفجأة دقَّ جرس تفكيري، فتذكرتُ ذلك الشخص الذي كان سببًا في هدايتي.. نعم.. نعم لقد أراني الطريق القويم، وأخرجني من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات.. نعم، لماذا لا أبحث عنه!!

فانطلقتُ مسرع الخطى عسى أن أجده، وبينما أنا أتنقل بطرفي من جهةٍ إلى جهة، إذ بي ألمح رجلًا يشبهه من بعيد. اقتربتُ منه، فإذا هو هوَ بنفسه.. أمسكتُه من خلفه، فالتفت إليّ، فقلتُ له: لا تتركني، أرجوك أرجوك (قلتها باكيًا). فأجابني بإجابةٍ غريبة ما كنتُ لأتوقعها منه!! قال لي: لا تتركني أنت.. لا تتركني أنت.

ثم ولّى ماشيًا، فأمسكته بيدي مسك الغريق بطوق النجاة.... فإذا بي أقوم مذعورًا من نومي على أذان الفجر، وأنا ممسكٌ بالمصحف الذي بجانب سريري! فقلتُ: يا له من حلمٍ مفزع، حينها أدركتُ أننا في زمنٍ قد هجرنا فيه القرآن وتركناه.

رواية خلف تلك الستائر الوردية [1]

ثريا بلعيادي

الجزء 1

السماء مشرقة، مشرقة لدرجة تحرق وجهي المليء بالهالات السوداء بسبب قلة النوم، صوت قهقهات وضحكات الفتيات المارين بجنبي يزعج سمعي بشدة. ألتفت لأحاول أن أركز اهتمامي على الطريق، أمسك المقود بيد، واليد الأخرى تحاول أن تمسح دموعًا نزلت بخفية، أرمي بنظري لصغيرتي النائمة في المقعد المجاور، تنام حبيبتي ببراءة... كم هي جميلة ابنتي.

تحاول نفسي ثنيي عن القرار الذي أخذته للحظات، لكني أنهرها بشدة وحزم: كلا، هذا لمصلحتها.

أحاول أن أسرع كي أصل عند أختي بسرعة، لا مزيد من الوقت، لن ينتهي هذا البؤس على أي حال حتى لو أجلت الأمر لبضعة أيام، لا بد أن أنتهي من الأمر اليوم وبسرعة.

---

[1] ثريا بلعيادي، كاتبة مغربية.

أصل إلى وجهتي وأخيرًا، وجدت أختي تنتظرني لتأخذ تقى معها متعللةً أنا بعمل طارئ علي أن أنجزه.

كالعادة لم تشك أختي بشيء، لم تنتبه لنبرة صوتي التي تغيرت أو عيني المليئة بالحزن والدموع التي تملأ مقلتيَّ، ضممت صغيرتي تقى بشدة: آسفة صغيرتي، أمك لم تعد تحتمل، الحياة أصبحت لا تطاق يا صغيرتي، حاولت ولم أستطع، سامحيني.

مددتها لأختي بسرعة قبل أن تفاجئني دموعي على حين غفلة مني كالعادة.

أسرعت الخطى نحو سيارتي واتجهت إلى فعل ما نويت على فعله...

الجزء 2

رجعت إلى منزلي بعد ذلك، دخلت إلى غرفتي بهدوء وأخذت حبوبًا مهدئة للنوم ووضعت الواحدة تلو الأخرى في يدي وأخذت أحدّق:

أكنتُ يا ترى أظن أن هذه ستكون نهايتي؟

أكنتُ يا ترى أظن أنني بهذه الهشاشة النفسية؟

أكنتُ يا ترى أظن أن حتى موتي أزحف إليه بالطريقة السهلة؟

أكنتُ دائمًا بهذا الجبن؟

أخذت أحدّق في السقف بفعل لا إرادي، لا أعرف لماذا؟ كأنني أبحث عن شيء فوق، في السماء.

بدون شعور رددتُ: يا الله. تفاجأت من نفسي لترديدي هذه الكلمة، لم أكن يومًا من أولئك الناس الذين يقومون بالعبادات، لم تكن هذه الكلمة موجودة في قاموسي حتى أو حياتي.

لماذا يا ترى رددتها؟ أكانت بوعي؟ أم يا ترى هي غريزة البقاء؟

يا الله، إذا كنت حقًّا موجودًا أعطني إشارة لكي أبقى؟ أنا حقًّا موجوعة ولم أعد أستطيع العيش في هذا المكان دقيقة واحدة.

يا الله فقط إشارة، وأعدك سأرمي هذه الحبوب.

انتظرت دقائق قليلة وابتسمت باستخفاف: هل أنتِ يا سارة بعد كل هذا العمر تدعين الله؟ من أنتِ كي يستجيب لكِ؟

أخذت الحبوب ورميتها في فمي وأخذت كأس ماء ورفعته ببطء إلى شفتيّ وأغمضت عينيّ مستسلمة لهذه النهاية التي اخترتها بعد صراع كبير مع نفسي، إلا أنني فجأة تراءى إلى سمعي صوت أعرفه جيدًا: سمعتُ «الله أكبر الله أكبر». هذا أذان صلاة العصر، هكذا بقيت مندهشة مما يحصل.

بسرعة نهضت من سريري وذهبت أفرغ ما في فمي من حبوب وأخذت أردّد: إنه هو، إنه الله، لقد سمعني، هو موجود!!!

الجزء 3

بقيت على هذا الحال لمدة لا أذكر كم طالت، إلا أنني أخرجت كل ما في جعبتي وبكيت بشكل هستيري. قمت إلى الحمام وغسلت وجهي وبقيت أحدّق في نفسي لساعات: عينان محمرتان بكثرة البكاء، جفون داكنة من قلة النوم، بثور هنا وهناك، وشفتان مشققتان من قلة النوم.

أحدق وأحدّق، من هذه المرأة التي في المرآة؟ أهذه أنا حقًّا؟ لا، هذه ليست أنا.

نظرت مرة أخرى إلى السقف وبدأت أردد: يا الله، أخرجني من هنا، ساعدني، ليس لدي الآن سواك.

برجلين متثاقلتين أخذت مفاتيح السيارة وأسرعت لأجلب صغيرتي التي كانت تنتظرني.

أخذتها في يدي فابتسمت لي ابتسامة رقيقة، رفرف قلبي لها، أتطلع فيها كأنها أول مرة. يا إلهي كم تشبه حسن كثيرًا، يا الله لماذا لم أنتبه لذلك حتى اليوم!!!

الجزء 4

حسن

أتتذكر يوم التقينا أول مرة؟ كنت غالبًا أقضي وقتي في المنزل عندما أتت والدتي بوجه مسترسل، ضاحكة مستبشرة: لقد أتاكِ عريس، لقد طلبك أحدهم من أبيك وسيأتي غدًا ليراكِ، فتحضري.

كنت متفاجئة من هذا المجنون الذي سيفكر الارتباط بي.

كنت فضولية أكثر من ذي قبل، لم أعطِ الأمر أهمية: غالبًا عندما سيراني سيعرض عن الأمر.

لكن العكس هو الذي حدث. أتذكر ذلك بالتفاصيل كأنه البارحة.

ناداني والدي للدخول إلى الصالون وتقدمني ليعرّفني عليك، ثم انسحب بهدوء ليتركني معك.

كنت مستحيًا جدًّا ولا تكاد تنظر لي، عكسي أنا، كنت ثاقبة عيني فيك أتفحصك: وجه طويل ولحية قليلة ومهذبة، بذلة سوداء.

كنت تبدو متوترًا بدليل أن رجليك كانتا تتحركان باستمرار، وظللت أنتظرك أن تبدأ الحديث كما أوصتني أمي، لكنك لم تفعل وظللت متوترًا حتى مللت وقلت لك: لا تخف يا حسن، لن آكلك.

الجزء 5

فجأة رفعت وجهك ونظرت إليّ ولأول مرة وبقيت تحدق، ثم انفجرنا ضاحكين. دائمًا هكذا، عفويتي تتغلب على تطبعي وتنتصر.

ثم انطلقنا في الحديث الذي طال حتى اضطر والدي للدخول مرة أخرى.

بعد ذلك سمعت من أمي أنك طلبت من والدي تحديد يوم الخطوبة الرسمية والبدء بتحضير الزفاف.

كنت منتشية بهذا الانتصار لأن أمي كما تقول دائمًا: إنني خرقاء ولا أعرف فعل أي شيء بطريقة صحيحة، وأن لا أحد سيقبل الزواج بي.

وبدأت أمرّ من أمام أمي بعد ذلك برأس مرتفع وثقة نفس كبيرة، وأصبحت هي تظهر احترامًا أكبر من ذي قبل، لأنني في نظرها أنجزت إنجازًا كبيرًا وستتمكن الآن من أن تتحدث أمام جاراتها بكل فخر عن أن إحدى بناتها ستتزوج، وكم أن عريس ابنتها مؤدب وخلوق ويمطر ابنتها هدايا.

كنا مختلفين أنا وأنت كثيرًا يا حسن.

كنت خجولًا عكسي أنا.

كنت ميسورًا عكسي أنا وعائلتي.

كنت مجتهدًا وناجحًا عكسي أنا، كنت فاشلة في الدراسة التي انقطعت عنها مبكرًا.

كنا مختلفين ومتناقضين كثيرًا، لكننا أحببنا بعضنا كثيرًا.

لكنك الآن بعيد، وأنا صرت وحيدة.

الجزء 6

نفس المشهد يتكرر في كل مرة وفي كل يوم وفي نفس الساعة: أدخل إلى فراشي لأنام، أظل أحدّق في السقف لساعات، أفكر في كل شيء

وأي شيء، أحاول أن أغمض عينيّ وأن ألزم نفسي النوم، لكن كل ذلك لا ينجح معي، فأرجع خائبة الأمل في كل مرة.

أستسلم بعد عدة محاولات وأنهض لأجلس على مكتبتي، ورقة بيضاء وقلم أسود والكثير الكثير من الوقت.

الله

هذه أول رسالة مني لك.

مترددة أنا في كتابتها لأنني أعرف أنني ما كنت قريبة لك أبدًا.

يا الله، صارت هذه حياتي وحالتي، منذ مدة يأبى النوم أن يصالح جفوني.

تعبت من هذه الحالة وأريد الخروج، لكن كيف؟

أنغمس في هذه الكتابات لا أعرف لماذا وما جدواها، لكن المهم أنني أكتب عن نفسي، عما يحصل معي، عن كل ما أشعر به، عني، عن الكل.

المهم أنني لن أتوقف الآن بعد أن وجدتك.

الجزء 7

تقى

آسفة لأنني لست أمًّا قدوة لك، لست قوية بما يكفي لك، لا تستحقين أمًّا مثلي، ولكني أحاول... أحاول بجد يا تقى.

تقى حبيبتي، لطالما تمنيت أن أرزق بطفلة، حتى إنني أحس أنني أنشأت علاقة خاصة معك حتى قبل أن تولدي.

كنت دائمًا ما أحادثك عمّا يحصل معي في يومي وحياتي، وأتحسس حركاتك في بطني لكي أطمئن أنك تسمعينني.

كنت محط سخرية من الكل عن هذه العلاقة الغريبة بيني وبينك، لكني لم أكن أهتم. كنت فقط أنتظر خروجك بلهفة، وأكتشف تفاصيل وجهك البريء، وأربح رهاني مع أبيك أنك تشبهينني.

وُلدتِ يا تقى، لكن ما كان لي وقت لكي أتدبر تفاصيل وجهك أو أن أعانقك أو أن أحكي لكِ حكايات ما قبل النوم، لأن يوم خروجك لهذا العالم ذهبت روح أخرى إلى خالقها... فقدته، فقدت سندي في هذه الحياة، فقدت أباكِ يا تقى، أبوكِ الذي كان متشوقًا للقائك أكثر مني.

الجزء 8

الله

ربما أنا لست بخير...

بلى، أعرف أنني لست بخير.

لا يزال طيفه يراودني دائمًا حتى في منامي يا الله.

صورته لا تفارق خيالي، لا يزال يقضّ مضجعي في كل ليلة.

أعرف أن الأمر سيأخذ وقتًا كي أتعايش وأتقبل الأمر، ربما شهر، شهرين، سنة أو سنوات، لكن أعرف أن الجرح سيندمل مع الوقت.

لكن... أنا الآن لست بخير، لست بخير حقًا يا الله.

الجزء 9

صارت أيامي متشابهة، آكل فقط ما يمكن أن يبقيني على قيد الحياة، أحاول أن ألعب مع تقى بصعوبة، ثم أرتخي كالعادة على سريري وأظل أتصفح هاتفي لساعات.

لكن اليوم، وبالصدفة وعلى غير عادتي، تذكرت أن أتصفح بريدي الإلكتروني القديم الذي لم أستخدمه بعد نهاية دراستي.

وجدت بريدًا منك يا بسنت: تخبرينني فيه أنه بعد نهاية دراستك خارج البلد قررتِ الرجوع إلى هنا وتريدين لقائي.

فرحت كثيرًا، ولكن لا أخفيك أنني كنت خائفة من لقائك لأنني لم أكن أريدك أن تري تلك النسخة الضعيفة مني التي أصبحتها. كنت أريدك أن تري صديقة طفولتك التي اعتدتِ عليها، لا هذا الهيكل الذي أصبحت عليه.

والتقينا، وبعد عدة دقائق فقط تلاشى خوفي، وبدأنا نتذكر ذكرياتنا معًا.

أتصدقين أنني لم أبتسم منذ فترة يا بسنت لدرجة أنني استغربت من نفسي؟

أترين يا سارة؟ يمكنكِ أن تضحكي مجددًا. It is not that a big deal.

لم تعلّقي يا بسنت لا على تغير شكلي ولا على حزني الظاهر في عيني ولا على أي شيء.

لا أكذب عليك إن قلت إن هذا أراحني وأزال من كاهلي حملًا كبيرًا.

كنتِ ذكية وعرفت كيف تتعاملين مع الموقف وكأن شيئًا لم يتغير، ولا أخفيك أن هذا زرع في نفسي ثقة أكثر، ثقة أنه ربما ظاهري ليس بذلك الخراب الذي اعتقدته.

واتفقنا على اللقاء مرة أخرى.

وشيئًا فشيئًا بدأت أخرج من قوقعتي.

الجزء 10

دخولك يا بسنت فجأة في حياتي جعلني أطمئن أن هناك على الأقل شخصًا يهتم لأمري ويحزن لأجلي ويسعده فرحي.

غريب أمر هذه الحياة... غريب أمرنا نحن البشر.

كيف يمكن لوجود الشخص المناسب أن يغير لونها بدرجة معاكسة، كيف يمكن له أن يقلب كل موازينك ويجعلك تودين الاستمرار، ليس لأنك تريدين ذلك، لكن فقط لأن وجوده يكفي لأن تبقي بجانبه.

كنت أظن أن الموت هو الحل الوحيد لإنهاء هذا الصراع الذي أعيشه مع نفسي، لكن تبين لي أن الحياة ليست بكل ذلك السواد الذي ظننته:

"في الحياة ما هنالك جميل لكي يُعاش."

لم أكن أظن يومًا أنني يمكن أن أبتسم مجددًا، لكن ها أنا ذا ابتسمت... ابتسامة هزّت جسمي من الداخل، يكاد جسدي لا يصدق هذا لأنه تعود فقط على الصمت أو البكاء.

بدأت شيئًا فشيئًا أستعيد ضحكتي التي فقدتها طوال هذه الفترة، وبدأت أستعيد ثقتي في الحياة مرة أخرى، وبدأت أقنع نفسي بالمحاولة مرة أخرى.

لا بأس يا سارة، لنحاول مرة أخرى. ربما هنالك سعادة تنتظرك في المستقبل، لا يمكنك أن تستقبليها هكذا.

فقط... لنحاول. حاولي أن تلملمي شتات نفسك.

ربما ليست النهاية كما ظننتِ، ربما كانت عثرة في طريقي فقط، وكان مقدرًا لي أن أعيشها بلحظاتها المرّة.

ربما هنالك ضوء في آخر الممر، يدعوني للاستمرار، وعدم اليأس والقنوط. ربما كانت فرصة للسقوط والنهوض مرة أخرى لا غير.

أعرف أن الأمر ليس بتلك السهولة،

لكن لن أخسر شيئًا بالمحاولة...

على الأقل من أجل تقى،

أجل... من أجلك سأحاول.

الجزء 11

سارة

إليكِ يا سارة، أعرف أنك ستقدرين على مواجهة كل هذا الشتات حولك، رغم كل هذا الضياع والخراب الذي بداخلك، أنا موقنة أنك ستزهرين ولو بعد حين، وستمشين في نفس الطريق التي تجرحك، لكن هذه المرة ستكونين بخير.

أعلم أن يومًا ما سأصل، وقتها سألتفت إلى الوراء وأقول: لم يكن سهلًا هذا الطريق، لكني فعلتها.

في نفس هذا الوقت من العام المقبل ستكونين سارة أخرى وكل شيء سيكون بخير، وتكون قصة حزينة وانتهت.

ستسألينني: من أين لكِ بهذا اليقين؟

أقول لكِ إن يقيني بالله صار كبيرًا، أنه لن يضيعني، وأن كل ما مررت به لن يهون عنده.

لا تدري... لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

الجزء 12

بسنت

وددت أن أخصص لكِ مكانًا في مذكرتي هذه لأنك كنتِ جزءًا منها دون درايتك.

ربما لن أقدر أن أعبر لك عن امتناني لوجودك في حياتي،

لكنك كنت بلسمًا على جراحي.

ربما لا تعرفين ذلك، لكنها الحقيقة.

الحقيقة أنك كنت ذلك الإنسان الذي جبر به الله قلبي وخاطري.

أرسلك الله لي في وقت كنت أحتاج فيه لشخص أن يلتفت لي ويمد لي يد المساعدة.

كنت كمتسول في الطريق أمضى ساعات يسعى عسى مارٍّ يرأف بحاله، وفي نهاية اليوم، وبعد يأس كبير وجوع وظمأ شديدين، بعدما تملكه اليأس في أن يعطف عليه أحد، يتفاجأ بدريهمات تتساقط عليه.

لا شك أن امتنانه لذلك الشخص سيكون أكبر وأعمق.

وهكذا أنا معك يا بسنت.

شكرًا لكِ، لا أعرف شيئًا تستحقينه لشكرك بقدر أن أدعو أن يتحقق لك كل شيء جميل تتمنينه في هذه الدنيا.

الجزء 13 والأخير

السماء مشرقة، مشرقة لدرجة تجعلني أرى الشمس بدقة عالية: آه، كم اليوم جميل جدًا.

صوت قهقهات وضحكات الفتيات المارين بجانبي يبهجني ويجعلني أبتسم بدوري لهم.

أكمل الطريق لأصل أخيرًا لوجهتي، تلك الوجهة التي كنت دائمًا ما أؤخرها. ما ظننت يومًا أنني سأتجرأ وأذهب إلى قبرك يا حسن.

حسن، ها هي صغيرتنا بجانبي قد كبرت، ومر عام.

لا يمكنني أن أقول إنه مر بسرعة كما يقول كل الناس، بل بالعكس... أحسست بكل ثانية منه.

لكني شاكرة لكل ما حصل معي.

لقد كبرت ابنتنا وأصبحت تحاول أن تقف.

لقد باتت تقلد حركاتك كثيرًا.

في كل مرة أنظر إليها أتذكرك، كم تشبهك كثيرًا، وهذا يؤنسني لأنني لدي شيئًا منك في هذه الحياة.

اطمئن... لقد مر عام على كل شيء، لكنني - ورغم كل شيء - نهضت بأعجوبة.

سأحاول المضي قدمًا هذه المرة، سأحاول إكمال ما بدأناه قبل هذه العاصفة.

وداعًا حسن.

عهد الحب والموت [1]

بويصار بدر الدين

مقدمة

في قلب مدينة فاس العتيقة، بين أزقة الملاح العتيقة، وحوانيت التجار، وفي ظل زمن مضطرب حيث وقّع المغرب معاهدة الحماية سنة 1912، نشأت قصة حب محرمة بين قلبين جمعهما القدر وفرّقتهما الأديان. تاجر مسلم يدعى إدريس، يافع ذو عينين حادتين كالصقر، تاجر أقمشة مشهور بأمانته، يقع في حب راحيل، فتاة يهودية من عائلة ثرية كانت تقتني الأثواب الفاخرة من متجره، حيث كانا يتبادلان النظرات والابتسامات، ثم الكلمات الخجولة، ثم الحب الذي اشتد كالنار في الهشيم.

لكن المدينة لم تكن مكانًا للحب الذي يتجاوز القيود. فالمجتمع محافظ، والتقاليد راسخة، والجدران التي تفصل بين المسلمين واليهود ليست فقط من حجر، بل قرون من العادات.

---

[1] بويصار بدر الدين، كاتب مغربي.

الفصل الأول: "أول لقاء"

في سوق المدينة العتيقة، كان إدريس ينظم الأقمشة الحريرية حين دخلت راحيل مع خادمتها. كانت ترتدي جلبابًا أزرقَ يشف عن فتنتها، وعينها السوداوان الواسعتان تشعان ببريق غامض. وشعرها الداكن المجدل، تملك سحرا لا يقاوم كان يعلم أنها يهودية، لكنها بدت له مختلفة عن الجميع، وكأنها سرٌّ لم يكتشف بعد. منذ النظرة الأولى، سحره حضورها، وأحس بأن قلبه يتسارع بطريقة لم يفهمها. كانت نظراتهما تنطق بأشياء لم يجرؤ أي منهما على البوح بها. تردد في الحديث معها، لكنها بادرته بسؤال عن نوعية الحرير القادم من الشام. منذ تلك اللحظة، بدأت زياراتها تتكرر، ومعها زاد وجيب قلبه.

الفصل الثاني: "اعتراف تحت ضوء القناديل"

في إحدى الليالي، بينما كانت المدينة تغرق في ضوء القناديل، التقيا سرًا في زقاق ضيق قرب الملاح، يتبادلان الوعود والأحلام حيث اعترف إدريس بحبه. تورد خداها، لكن خوفها كان أكبر من سعادتها. "أتعلم أن هذا مستحيل؟"، همست بصوت مرتعش. لكنه لم يكن يرى في الحب مستحيلاً.

الفصل الثالث: "ثورة العائلتين"

حين علمت عائلة راحيل، قامت الدنيا ولم تقعد. اشتعل غضبا وصفعها بشدة متهما إياها بالخيانة، وهددها بالزواج قسرًا من تاجر يهودي آخر. أما إدريس، فقد واجه معارضة شرسة من والده الذي هدد بطرده من العائلة إن لم يتراجع عن هذا الجنون: "لن يكون ابني من يتزوج يهودية!" صاح والده بغضب حاول إدريس بكل الطرق إقناع والده، لكنه وجد نفسه في مواجهة جدار صلب من الرفض.

لكن إدريس لم يكن يرى في الحب دينًا أو حدودًا.

الفصل الرابع: "حلم ضائع"

حاول إدريس أن يقنع والده، وذهب إلى أعيان المدينة طلبًا للمساعدة، لكنه قوبل بالرفض والإهانة. راحيل تُحبس في بيتها تُراقب القمر من نافذتها وتهمس باسمه في الظلام.، وإدريس يجوب الشوارع كالمجنون، يكتب لها رسائل لا تصل، ويبعث لها نظرات من بعيد لا تلقى جوابًا. بدأ يذبل شيئًا فشيئًا، وفقد شهيته للحياة. حتى تجار السوق لاحظوا تغيره، فقد كان الشاب الذي يملأ المكان حيويةً، يتحول إلى شبح يسير في الأزقة بلا روح.

الفصل الخامس: "القرار الأخير"

في ليلة باردة من ليالي ديسمبر، وبينما كانت المدينة تغرق في السكون وبعد أن استنفد إدريس كل محاولاته، قرر أن يضع حدًا لألمه. صعد إلى سطح منزله، حيث كانت بندقيته المزدوجة التي يستخدمها في الصيد، وجلس هناك يتأمل المدينة التي رفضت حبه. كتب رسالة أخيرة، خطّت أنامله المرتعشة كلماتها الأخيرة:

"لقد أحببتها بكل ما أوتيت من قلب، ولكن هذا العالم لم يترك لي خيارًا. لا تلوموا أحدًا، اللوم لي وحدي... وداعًا."

ثم أطلق النار على رأسه، فسقط مضرجًا بدمائه.

الفصل السادس: "دموع الندم"

حين وُجدت جثته مضرجة بالدماء، عمّ الحزن المدينة. بكى والده بحرقة، وظل يردد: "قتلته يداي، قتله عنادي!"، أما والدة إدريس، فقد ألقت باللوم عليه: "لو أنك وافقت، لما رحل ولدنا"

وصل الخبر إلى بيت راحيل كالصاعقة. وقفت مذهولة، والدموع تنهمر من عينيها بلا توقف. لم تحتمل الفكرة، لم تتخيل الحياة بدونه. توجهت إلى المطبخ، حملت سكينًا، وبدون تردد، غرسته في

معصمها، ثم الآخر. سالت دماؤها على الأرضية الباردة، وراحت أنفاسها تتباطأ.

حين دخلت والدتها، صرخت بألم، واستدعت العشاب على أمل إنقاذها، لكن فات الأوان. فارقت راحيل الحياة، وهي تهمس باسمه للمرة الأخيرة.

كانت أم راحيل تبكي ابنتها بحرقة، وتتمتم: "كل هذا بسبب الكبرياء الأحمق... لقد دفنّاها قبل أوانها"

الفصل السابع: "أسطورة الحب الملعون"

تحولت قصة إدريس وراحيل إلى حديث كل لسان. تاجر مسلم انتحر من أجل فتاة يهودية، حب تحدى الزمن والدين والمجتمع، لكنه لم ينتصر إلا في الموت. حتى بعد عقود، بقي الناس يروون حكايتهما، وكلما مرّوا من سوق المدينة، تذكروا الفتى الذي أحرقه الحب، والفتاة التي سلكت درب عشيقها.

في النهاية، لم يُكتب لهما اللقاء في الحياة، لكنهما اجتمعا في الموت، وأصبحا رمزًا لحبٍ تحدى العالم، لكنه لم ينتصر إلا في القبر.

خاتمة

ليست كل قصص الحب تنتهي بزفاف وسعادة، فبعضها ينتهي بدموع وندم. لا نهاية له. إدريس وراحيل لم يجتمعا في الحياة، لكنهما صارا أسطورة، قصة حب خالدة تروى في الأزقة، تحت ضوء القناديل، كلما هبت رياح الماضي في مدينة لم تمنح العشاق فرصة للحياة.

أمي تحترق وقلبي ينصهر[1]

الزعومي فاطمة الزهراء

في أقصى الشمال الشرقي من المملكة المغربية، حيث تمتزج رائحة الأمان بأنفاس الجبال، كانت زهراء تقطن مع عائلتها البسيطة في حيٍّ يفيض بالودّ وروح المشاركة. هناك، بدأت حكايتها، في دفء البيت وضجيج الأزقة القديمة، عاشت طفولة تتأرجح بين الهدوء والعناد، وبين البراءة والدهشة.

لم تكن زهراء الفتاة الوحيدة لوالديها؛ فقد كانت لها أختٌ أصغر منها بثلاث سنوات تُدعى أماني، وأخوان: محمد الأكبر منها بثلاث سنوات، وزيد، الأصغر منها بخمس.

كان والدهم، عمّار، رجلاً اجتماعيًّا يعشق فنّ الدعابة والمزاح، لا تفارق الابتسامة وجهه، بينما كانت والدتهم، حياة، نقيضه تمامًا؛ صارمة الملامح، حازمة في قراراتها، تُربي أبناءها على الإيمان والانضباط، وتغرس فيهم احترام الذات قبل احترام الآخرين.

---

[1] الزعومي فاطمة الزهراء، كاتبة مغربية، أستاذة مادة اللغة العربية.

كبرت زهراء شيئًا فشيئًا، وبدأت شخصيتها تتفتح كزهرةٍ على استحياء. جاء يوم دخولها المدرسة الأول، فشعرت بمزيجٍ غريب من الفرح والخوف، وكأنها تطرق باب عالمٍ مجهول لا تدري ما ينتظرها خلفه. كانت والدتها تمسك بيديها الصغيرتين بحنانٍ عظيم، وتشتري لها قطعة بسكويت بالشوكولاتة من بائعٍ مسنّ يقف عند باب المدرسة. لم تكن تعلم أن تلك اللحظة الصغيرة ستظل عالقةً في ذاكرتها إلى الأبد.

وذات مساءٍ، عادت من المدرسة وجلست أمام تلفازها الصغير تشاهد كرتونها المفضل، «إيميلي»، حين دخل والدها مبتسمًا وهو يحمل بيده قصة صغيرة، مدّها نحوها وقال:

"هذه لكِ يا زهرتي، لعلها تعجبك."

نظرت زهراء إلى الغلاف وقرأت العنوان المكتوب بخطٍّ عريض: «بائعة الكبريت». أمسكت القصة بشغف، وانطلقت إلى غرفتها تقلب صفحاتها بنهم. بكت في نهايتها بحرقةِ طفلةٍ لم تفهم تمامًا معنى الفقد، لكنها شعرت به. ومنذ تلك الليلة، اشتعلت في داخلها شعلةٌ لن تنطفئ... شعلة القراءة.

كانت العائلة، رغم بساطتها، تعيش بركةً خفية، يحتضنها الحب وتزينها القناعة. فقد كان والدها يكدّ في تجارةٍ بسيطة، يحاول تأمين

لقمة العيش بكرامة. لكن في صباحٍ شتويٍّ كئيب، عاد إلى البيت، ووجهه مائلٌ نحو الحزن. جلس صامتًا، ثم قال بصوتٍ متهدج:

"منعونا من البيع في المكان المعتاد."

ساد الصمت، وتبادل الأبناء النظرات في قلق. عندها تنهدت الأم، وقالت بحزمٍ يشبه الحنان:

"لن أسمح بخروج أبنائي من المدرسة مهما حدث، سأفعل كل ما في وسعي لتدريسهم، حتى ولو كلفني ذلك صحتي".

تفاجأ الجميع من كلامها وسألوها عما تفكر به، فأجابت: "سأقوم بعجن الخبز كل فجر في غرفة السطح وإرسالها مع أبيكم إلى الدكاكين لبيعها"

تردد الأب في البداية في قبول طلبها، لكنه لم يكن يملك خيارًا آخر، خاصةً أنه يعرف شخصية زوجته القوية التي لا يمكن أن تتراجع مهما حاول إقناعها.

وفي اليوم التالي، وقبل أن ينهض الفجر من سباته، كانت حياة قد بدأت رحلتها مع العجين. كانت تعجن الخبز بيديها المتعبتين، وتتركه يختمر، ثم تصلي الفجر وتعود لتكمل عملها، حتى صارت رائحة الخبز تعمّ البيت وتغمر الحي.

كانت تصنع يوميًا ما يقارب ثلاثمئة خبزة: شتاءً في البرد القارس حتى تزرقّ يداها، وصيفًا في لهيب الشمس حتى يلتصق عرقها بجسدها النحيل. ومع ذلك، لم تتذمّر يومًا.

مرت السنوات، ودخلت زهراء المرحلة الإعدادية، ثم الثانوية. كانت ترى أمها كل فجرٍ تُصارع التعب بصمت، فتكتم دموعها وتقول في نفسها:

"سأجعلها تفخر بي... سأعوّضها عن كل هذا العناء."

نجحت زهراء في البكالوريا، فكانت فرحة الأم لا تُوصف. وفي الجامعة، درست اللغة العربية التي عشقتها منذ طفولتها. كانت تستيقظ قبل الفجر لتذاكر في سطح البيت قبالة غرفة عجين أمها، حيث تعبق رائحة الخبز في الهواء، وتفوح منها قصة صبر الأمّ وتضحياتها.

تخرّجت زهراء أخيرًا بامتياز، وبدأت التحضير لمباراة التدريس وهي تحمل أملًا واحدًا في قلبها: «أن تُريح أمها من عناء الخبز إلى الأبد». كانت حياة آنذاك قد بدأت تذبل؛ وجهها الذي كان أبيضَ مشرقًا صار أصفرَ شاحبًا، وصوتها بدأ يضعف.

وذات مساءٍ، بينما كانت زهراء في زيارةٍ لصديقتها، وصلها خبر إعلان النتائج. فتحت هاتفها بيدٍ مرتجفة، تبحث بين الأسماء حتى وجدت اسمها... ناجحة!

صرخت من الفرح وعانقت صديقتها، ثم ركضت كالمجنونة في الشوارع نحو بيتها لتبشر أمها.

لكن حين وصلت، وجدت الناس مجتمعين أمام البيت، وأخوها زيد يبكي بحرقة. سألته بفزع:

"زيد، ما الذي حدث؟!"

همس بصوتٍ مكسور:

"ماما... أغمي عليها. نقلوها للمستشفى."

في تلك اللحظة، شعرت زهراء أنّ الأرض تميدُ تحت قدميها. هرعت إلى المستشفى، وهناك علمت أنّ أمّها أُصيبت بسرطان القولون في مراحله الأخيرة، وأنّها تحتاجُ إلى عمليةٍ عاجلة.

وقفت زهراء مذهولةً، تردّد بين شفتيها:

"لماذا الآن؟! بعد أن تحقّق حلمي..."

جمعت العائلةُ بشقّ الأنفُسِ ثمنَ العملية، وبعد أيّامٍ من القلق، أُجريت الجراحةُ بنجاح. وعندما أفاقت حياةُ من البنج، همست لها زهراءُ والدموع تنساب على خديها:

"نجحتِ يا أمي... أصبحتُ أستاذةً."

ابتسمت الأمّ رغم الألم، وقالت بصوتٍ واهنٍ:

"كنتُ أعلم أنّكِ ستفعلينها يا ابنتي"، وأضافت بابتسامةٍ ممزوجةٍ بالفخر: "أستاذةٌ قدّ الدُّنيا."

لم تكتمل فرحةُ العائلة، فبعد العمليةِ بأسابيعَ قليلةٍ بدأ العلاجُ الكيماوي، وبدأ معه الألمُ الحقيقي. كانت زهراءُ تعود من دروسِ التكوين، لتجدَ أمَّها بالكاد تقف في المطبخ، تحاول تحريكَ القدرِ بمساعدةِ أماني، فتقول لها:

"أمي، استريحي، دعيني أُكمِل عنكِ."

فتردّ بابتسامةٍ منهكةٍ:

"طالما أنفاسي لم تنقطع بعد... فلن أستريح."

واستمرَّ صمودُها حتى آخرِ رمقٍ، إلى أن جاء اليومُ الذي خمد فيه النورُ في عينيها.

غادرتْ "حياةُ" وهي تودّ وتَرغَب أن تُكمِل الحياةَ بجوار أبنائها، تراهم في مناصبَ وبيوتٍ مستقِرّةٍ كما كانت تكرّر دائمًا.

لكنّ للقدرِ كلمةً أخرى لا تُرَدّ؛ غابت عنهم تاركةً خلفها بقايا رائحةِ الخبزِ التي كانت توقظهم كلَّ صباح، كأنها آخرُ رسالةٍ من قلبها.

استمرّت زهراءُ تجلس على السطح أحيانًا، تستنشق ما تبقّى من عبق تلك الأيام، وتهمس في سرّها:

"غادرتِ يا أمي، لكنكِ تركتِ لي حياةً كاملةً من الدروس... ومن الحبّ."

رحلت "حياةُ"، فغدت الحياة بلا حياة.

غابت وهي تهمس بابتسامتها الأخيرة، وكأنها تُرسل لهم سلامها الأبدي:

"أنا طيرٌ من طيورِ الجنة... أحلق فوقكم دائمًا."

الأسرة: المنظومة الأسمى لصناعة الإنسان والأمة[1]

د. علي بن عيسى الزهراني

الأسرة هي النواة التي انبثق منها الإنسان، والمحضن الذي أراده الله ليحفظ فطرته ويُزكي وجدانه. ليست الأسرة مجرد عقد شرعي أو رابطة اجتماعية بميثاق غليظ، بل منظومة إلهية أسمى تقوم على السكن والمودة والرحمة، وتُحقق غاية الاستخلاف في الأرض.

لقد جعل الله تعالى من العلاقة الزوجية آيةً كونيةً تُظهر حكمته ورحمته، فقال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

فالأسرة هي اللبنة الأولى في بناء الأمة، وصلاحها أساس نهضة المجتمعات واستقرار الدول، وفسادها أصل الانهيار القيمي والحضاري.

---

(1) د. علي بن عيسى الزهراني، الباحث في العلوم الأسرية، مدرب ومستشار أسري وتربوي.

أولًا: المنظومة الإلهية في تأسيس الأسرة

أقام الإسلام الأسرة على منظومة متكاملة تُوازن بين الروح والمادة، بين الحقوق والواجبات، وبين الفرد والمجتمع. وتتجلى هذه المنظومة في خمس دعائم كبرى:

1. اللباس: ستر وزينة وحماية متبادلة، كما قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187].
2. السكن: سكينة القلب واستقرار النفس، لا مجرد سكن المكان.
3. المودة: حبٌّ فاعل يترجم إلى مشاركة وعطاء وتقدير.
4. الرحمة: أساس الاستمرار وقت الشدة والاختلاف.
5. الخلافة: المقصد الأسمى للأسرة، فبها يتحقق الاستخلاف في الأرض.

بهذه الدعائم تصبح الأسرة مركز التوازن الإنساني ومصدر صناعة الإنسان القيمي الذي يُعمر الحياة بالخير.

ثانيًا: الزوجان المثاليان ودورهما في تحقيق الاستقرار

الزوجان الصالحان هما روح الأسرة وعمادها. يقوم بينهما توازن دقيق بين المسؤولية والرحمة، وبين القيادة والمشاركة.

يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

ومن خلال هذا التوازن يتحقق السكن الحقيقي، وتصبح العلاقة الزوجية مدرسة لتزكية النفس وتنشئة الذرية الصالحة. فالزوجان المثاليان لا يُنجبان أبناء فقط، بل يُنشئان جيلًا مؤمنًا يحمل القيم ويصنع الحضارة.

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته..." (رواه البخاري).

فالزوج راعٍ في بيته، والزوجة راعية في بيت زوجها، وكلاهما مسؤولان أمام الله عن إصلاح النفس والذرية.

ثالثًا: من الأسرة إلى الأمة

الأسرة هي المصدر الأول للقيم، ومنها تشع المودة والرحمة إلى المجتمع كله. فإذا استقامت الأسرة، استقام المجتمع، وإذا انهارت، تفككت منظومات الدولة والأمة.

صلاح الأسرة يُنتج ذرية سوية تحمل روح الانتماء والمسؤولية، فتُسهم في بناء مجتمعٍ مستقرٍ تسوده الثقة والتعاون. ومن المجتمع الراشد تتكون الدولة القوية، ومن الدولة الراشدة تُبنى الأمة الخيّرة التي قال الله فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

وهكذا تُصبح الأسرة المصنع الأول للإنسان الصالح، ومن ثمّ للأمة الراشدة التي تُحقق العدل والرحمة والاستخلاف في الأرض.

رابعًا: تحديات الأسرة المعاصرة

تواجه الأسرة اليوم تحديات فكرية واجتماعية عميقة:

- ضعف التواصل العاطفي بين الأزواج.
- غلبة النزعة المادية على القيم.
- هيمنة الإعلام الجديد على دور الوالدين.
- غياب القدوة في التربية.

ولمواجهة هذه التحديات، لا بد من إعادة الوعي برسالة الأسرة، وتفعيل التربية الإيمانية، وتمكين الوالدين من أدوات التربية الحديثة، وتحقيق التكامل بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المدرسة والإعلام والمجتمع.

الخاتمة: توصيات وإشراقة

إن صلاح الأسرة هو بداية صلاح الأمة، فكل بيت متماسك هو لبنة في جدار النهضة. ولتحقيق ذلك ينبغي:

1. ترسيخ قيم السكن والمودة والرحمة في الحياة الزوجية.
2. إعداد برامج تأهيلية للوالدية الواعية.
3. تحصين الأسرة بالعلم والحوار والمثل العليا.
4. نشر القدوة الحسنة في المجتمع والإعلام.

قال النبي ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي". (رواه الترمذي).

بهذه القاعدة النبوية يتجلى جوهر المنظومة الأسمى: أن تبدأ الخيرية من البيت، لتفيض على المجتمع والدولة والأمة، فيتحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين لمن أصلح أسرته وأحسن عمارة بيته.

وصلى الله وسلم على المعلم والمربي والزوج والأب والقائد القدوة والمبعوث رحمة للعالمين.

1447/5/20هـ الموافق 2025/11/11م

رجولة تحضر[1]

حياة بقيش

لم تعد الأنثى تخاف من الوحدة، بل صارت تخاف أن تُسلّم قلبها وسلامها لرجلٍ لا ترى فيه الأمان.

في زمنٍ اختلطت فيه المفاهيم وتغيّرت فيه الموازين، انسحب الرجل من دوره الطبيعي كقائدٍ بالحكمة، وسندٍ بالحضور، فوجدت المرأة نفسها أمام فراغٍ كبير لا يملؤه أحد.

فراغٌ دفعها لتتحوّل من الكائن الذي يُلهَم ويُحتوى، إلى الكائن الذي يعمل ويقاتل ويُعيل، لأن الرجولة بمعناها الأصيل غابت.

لم يعد حضور الرجل حضورًا يطمئن، ولا قيادةً تُشعر المرأة بأنها مُصانة، ولا مسؤوليةً تُسند إليه لا أن تُلقى عليها.

تراجع الرجل عن دوره شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت الأنثى في كثيرٍ من البيوت تتحمّل ما كان يُفترض أن يُسند إليه، لا لأنها أرادت أن تكون "القوية"، بل لأنها لم تجد من يسندها، فتحملت الأعباء مُضطرةً لا رغبة، خوفًا من الانهيار.

---

[1] حياة بقيش، كاتبة مغربية مقيمة بهولندا.

عملت لتعيش، وكافحت لتحمي أبناءها، وتقمّصت دور الرجل لتُبقي البيت قائمًا.

لكنها دفعت الثمن من روحها: فقدت عفويتها، وأنوثتها، وثقتها في الشريك الذي خُلِق ليكون ملاذها.

وفي الجهة الأخرى، ضاعت بوصلة كثيرٍ من الرجال بين مفاهيم مضطربة للحرية والرجولة.

بحثوا عن المتعة بدل المعنى، وعن الراحة بدل المسؤولية، وانسحبوا من ميادين العطاء الحقيقي، ليعيشوا في حالةٍ من التيه والفراغ.

هكذا نشأ جيلٌ جديد، جيلٌ عاش الرفاهية والمادية، ويملك كل شيء إلا الدفء والإشباع العاطفي.

جيلٌ تاه بين أمٍّ منهَكة وأبٍ غائب، وتربّى على حضور الأجساد وغياب الأرواح.

جيلٌ لم يتعلّم الحب ولا الاحترام، ولم يرَ في الأب القيادة والأمان، ولا في الأم السكينة والحنان، لأن المودة غابت من العلاقة التي أنجبته.

«رجولة تحتضر» هو نداءٌ ومحاولة لاستعادة المعنى المفقود للرجولة والأنوثة.

لستُ ضدّ الرجل، بل ضدّ انهيار الرجولة بمعناها الإنساني النبيل - ضدّ الغياب، واللامسؤولية، وضياع القِوامة بمعناها الحقيقي: الحماية، والاحتواء، والكرم، والقيادة بالحب، لإعادة التوازن الطبيعي بين الحضور الذكوري والحنان الأنثوي.

الرجولة ليست سلطةً ولا قسوة، بل مسؤولية، وحكمة، وكرمٌ في العطاء. والأنوثة ليست ضعفًا ولا تبعية، بل امتلاء، واحتواء، وقدرة على الإلهام.

حين يعود الرجل إلى وعيه، وتعود المرأة إلى طبيعتها، يتصالح الاثنان مع الفطرة التي خُلِقا عليها، وتعود العلاقة إلى جوهرها الإنساني، حيث تقوم الحياة على العطاء المتبادل، وعلى المودة والرحمة: مشاركة واحتواء لا إقصاء وصراع؛ تكامل وانسجام، لا تفوّق ومنافسة.

لقد آن الأوان لسلامٍ جديدٍ بين الأقطاب؛ أن يعود الرجل إلى مسؤوليته دون خوف، وأن تعود المرأة إلى أنوثتها دون دفاع.

هذه الكلمات دعوةٌ هادئة لإحياء ما مات فينا، دعوةٌ للعودة إلى الفطرة، وإعادة تعريف الرجولة قبل أن تُمحى من القلوب والسلوك. فربّ رجولةٍ لا تزال تنبض في الأعماق، تنتظر فقط من يوقظها.

ظلال الغريب... والوجه الذي يشبهنا[1]

"حكاية عن الخوف من الحضور الخفي والغياب الصامت الذي يترك أثره في الروح"

جهاد غريب

كانت الريح في تلك الليلة تشبه مقاتلًا قديمًا لم يتعب يومًا من النزال.

مقاتلٌ يعود في كل مرة بوجهٍ جديد، يلوّح بظله فوق الطريق، ويذكّر الروح بأن الصراع ليس مع الآخرين... بل مع ما ينهض داخله كلما ظنّ أنه استراح.

كانت الروح تقف في منتصف الطريق، تصد العواصف القادمة من الماضي كي لا تصل إلى المنبع الأول - ذلك الجذر العميق الذي يخشى أن تُصاب تربته ولو بخدش صغير. فالندم حين يصل إلى جذور الروح، ينفتح مثل نافذة يبكي على حافتها الجميع. لم يكن الخوف من المقاتل، بل من أولئك الذين ينتظرون في الظل فرصة ليقولوا: "لقد كنا مخطئين بحقك".

---

[1] جهاد غريب، كاتب فلسطيني.

كانوا يعرفون ذلك، لكن الاعتراف يحتاج إلى جرح يعلّمه الزمن معنى الانحناء.

ولأن الفوضى حين تأتي لا تأتي وحيدة، أصبح على الروح أن تحمي الجماعة -البيت الأكبر، قيمه، ورجاله، وذاكرته، وكرامته- من الدخول في صراع لا يشبههم. فالحكمة ليست في كسب معركة، بل في منع حربٍ لا تُعرف نهايتها. وكان هناك رجل واحد، خرج من وظيفته يومًا بداعي الظلم، لا يحمل سوى إيمانه بالحق.

صار يقف إلى جانب الروح في كل ساعة: في الواحدة... في الثالثة... في الخامسة فجرًا.

لا ينام هو ولا تنام الروح؛ فالليل حين يمتلئ بالخوف، يصبح الأرق شكلًا من أشكال الوفاء. وكانت الجارة -صوت الحكمة اليومية- تقول وهي تفتح نافذتها: "إن خرجتِ من المدينة هربتِ... وإن بقيتِ انتصر صبركِ".

كلمات بسيطة، لكنها كانت مثل عصا تتكئ عليها الروح حين تهتز.

ورغم كل العواصف، بقيت الروح ثابتةً، تقطع الأيام التسعين مثل درب حجٍّ داخلي، كل خطوةٍ فيه تُعيد تعريف الصبر.

ومع كل خطوة، ينقلب الظلم على صاحبه، ويصبح المقاتل القديم أداةً تعلن انتصارات غير مقصودة، كأنه يقدّم دعاية مجانية للثبات.

لكن السؤال الأخطر لم يكن عن العدو... بل عن الصوت البعيد: رمزٌ يشبه الغريب.

صوتٌ لم يسأل، لم يستفسر، لم يقترب ليعرف... بل كتب شيئًا لا يشبه المعركة ولا يشبه الجرح، كأنه يعيش في عالم آخر لا يسمع صرير السيوف القريبة من القلب.

ولم يدرِ أن صمتَه كان يوجع أكثر من التهديد. فالخذلان ليس فعلًا... بل غياب الفعل.

ومع الأيام، حين تكاثفت التهديدات، صار العالم كله يطلب من الروح أن تُخبر ذلك الصوت الرمزي البعيد بما يحدث، لكن الروح رفضت: رفضت اللجوء إلى سلطة، رفضت إشعال حرب، رفضت استدعاء رجال البيت، رفضت إدخال الوجهاء في معركة الطين.

لم تُرِد أن تتلطخ أسماء النبلاء بسبب جرحٍ شخصي أو تهديدٍ عابر.

وكانت الأرواح القريبة -رموزٌ تشبه البنات- يغضبن، ويسألن، ويتهامسن: "كيف تكونين قوية أمام العالم... وضعيفة أمام ذلك

البعيد؟" لكن الروح كانت تجيب في صدق: "لأن الحكمة لا تمنح القلب مناعة... ولأن المعرفة لا تلغي الحاجة لمن يصغي".

كان الضمير الجمعي يرى أن الصمت ضعف، لكنه وحده كان يعرف أن الصمت حماية: حماية للنفس... وحماية للآخر أيضًا.

ثم جاءت اللحظة التي انهار فيها القلب، ليس ضعفًا، بل فرط صدق.

حين قالت الروح لتلك الرموز: "كل ما أريده هو أن أراه مرة واحدة... أشرب قهوة لا تتكرر، وأسأله الأسئلة التي لا صوت لها". وبكت.. بكاءً يخرج من منطقة لا يصل إليها إلا من جُرح في كبريائه قبل قلبه.

واحدة من الأرواح القريبة ضمّت صوت الباكية إلى صدرها وقالت: "امسحيه... سيمتلئ العالم برجال يشبهونه".

لكن الروح اكتفت بابتسامة خفيفة، وصبّت فنجانًا وقالت: "من تشرب؟"

كأنها تسكب في الفنجان هدنة. لكن المأساة الكبرى لم تكن في التهديدات... ولا في صمت الصوت البعيد... ولا في الغضب الذي تشتعل به الأرواح القريبة.

المأساة كانت في الحقيقة التي انكشفت أخيرًا: أن الروح عاشت وهمًا.

عاشت حكاية ظنتها حبًا، وكانت ظلًّا لرغبة في استعادة الكرامة.

لم تكن قصة عشق... بل محاولة شفاء.

تعلّقٌ تسلّل عبر شرايين القلب التي لم تلتئم منذ رسالة الرحيل الأولى.

كان ذلك الرحيل جنازة بلا معزّين، جنازة بقيت مفتوحة حتى اليوم.

جنازة جعلت الروح تستيقظ كل صباح على صدى سؤال: "لماذا لم أكن استثناءً؟" مع الوقت، اكتشفت الروح أن الصوت البعيد لم يكن حبًّا، ولا حتى سهمًا مصوّبًا نحو القلب...

كان مجرّد عابر حمل سيفًا صدئًا من تجاربه الماضية، ولوّح به فوق رأس من لم يستحق جرحًا.

ولذلك قال القلب لنفسه في النهاية: "لقد كبر الوهم... لا الحب".

ثم جاء السؤال الأخير، السؤال الذي خرج مثل شهقة: "هل أضع قصتي في الضوء؟

هل أكتب منذ البداية كيف دخلتَ عالمي... وكيف خرجتَ منه؟

كيف ظننتُك ملاذًا... وظننتني تشابهًا؟

أم أترك الحكاية تذوب مثل أثر قَدمٍ على الرمل؟"

كان القرار صامتًا... لكن المعنى واضحًا: ليست كل الحكايات تُكتب لتُفضح؛ بعضها يُكتب كي تُشفى.

وهكذا وصلت الحكاية إلى نهايتها... لا بالانتقام، ولا بالانكسار، بل بالوعي: وعيٌ يقول إن الروح حين تحارب، تحارب لتحمي ضوءها، لا لتثبت للآخرين أنها لا تُهزم.

وأن الغريب -أيًّا كانت رمزيته- ليس إلا درسًا في الطريق: درسًا يقول إن القلب حين يخطئ الطريق...

يعود ليجد ذاته أقرب مما تخيّل.

نوفمبر 2025

تلك التي لا تكبر [1]

إيمان الجصاص

تُبهرني تفاصيلها المجنونة...

لا تضع نظارةً شمسية،

فهي تعشق أن تغمر الشمس عينيها.

ترقص تحت المطر كطفلةٍ لا تُبالي،

تأكل طعامها ساخنًا،

وتتلذّذ بقطعة آيسكريم في ذروة القيظ.

تكتب اسمها على الجدران بخطٍّ عفوي،

لا تُجيد الكذب، ولا تعرف كيف تختبئ.

ملامحها طبيعية لا يُفسدها تكلّف،

وتصرفاتها نقيّة كجدولٍ صافٍ.

---

[1] إيمان الجصاص، كاتبة سعودية.

تصنع فقاعات الصابون،

وتُبدع في أشكالها كأنها ترسم فرحًا في الهواء.

ترقص مع الأطفال،

تشاركهم ألعابهم،

وتربط شعرها بضفيرتين كأنها لم تكبر بعد.

تبتسم كثيرًا،

حتى تلمع غمازتاها كنجمتين في وجه القمر.

وفي حضرتها...

أشعر أن العالم أبسط،

وأن الحياة ما زالت ممكنة،

وأنني طفلٌ صغير

يتعلّم الفرح من جديد.

وصال الروح[1]

أم كلثوم بهواري

كانت زمرد تؤمن أن القطع القديمة هي امتدادٌ للتاريخ، وحكاياتٌ لم تُروَ، وألغازٌ غامضة تُخفي بين ثناياها الكثير من الأسرار. وفي زوايا السوق العتيق الذي كانت تزوره باستمرار، لفت انتباهها محلٌّ صغير لم تره من قبل، تغطيه طبقة من الغبار، وكأنه انبثق من غياهب النسيان. قادها فضولها كعادته لاستكشاف ما فيه، وبين المزهريات والساعات وبعض القطع الأثرية، وجدت في إحدى الزوايا إطارًا من خشب داكن، نُقشت عليه أزهار غريبة لم ترَ مثلها قط. تتوسطه مرآة بيضوية الشكل، يغشاها غبار خفيف. شعرت بشيءٍ ما يجذبها إلى تلك القطعة، فاشترتها.

وفي المساء وضعتها في ركن من غرفتها قرب النافذة. كان كل شيء عاديًا حتى تلك الليلة؛ عندما اقتربت منها رأت فتاة صغيرة ذات ضفائر تقفز بين الحقول، وتطارد الفراشات، وصوت ضحكاتها يردده الصدى. جحظت عيناها وخفق قلبها بشدة، ولكن سرعان ما ارتجف الزجاج كأنه صفحة ماء، ثم عاد كل شيء إلى طبيعته. عادت

---

[1] أم كلثوم بهواري، كاتبة مغربية.

تنظر إلى انعكاس صورتها وتتساءل: هل ما رأته كان حقيقة أم وهمًا؟ أخذت منديلًا وألقته على المرآة، ثم جلست على سريرها وأفكار شتّى تتصارع في رأسها.

وفي الصباح، عندما استيقظت، وجدت المنديل قد أُزيح، وكأن المرآة ترفض أن تُخفي أسرارها. استجمعت شجاعتها ثم وقفت أمامها، فرأت فتاة تشبهها كثيرًا، لكنها كانت أكثر إشراقًا وحيوية، وعيناها حالمتان يملؤهما الشغف. اقتربت أكثر، فسمعت همسًا يصدر من داخل المرآة بصوتها ذاته: «تتظاهرين بالقوة، وتضحكين كثيرًا... ولكنكِ لم تعودي أنتِ.»

ارتبكت وتراجعت إلى الخلف، وقلبها يدق كطبول الحرب، لكن فضولها دفعها للنظر مرة أخرى. فرأت نفسها كما كانت قبل سنوات: فتاة محبة للحياة، بين الريشة والألوان تجد لذتها، تناجي الورد صباحًا والقمر ليلًا، وتفرح بزخّات المطر وشدو الطيور ورائحة الكتب. كانت تؤمن أن للحياة ألوانًا زاهية، غير هذا الرمادي القاتم الذي ترتديه الآن.

همست المرآة من جديد: «متى قررتِ أن تكوني شخصًا لا يشبهكِ؟»

دمعت عيناها، وأدركت حينها أن المرآة لم تكن تُظهر ماضيها فقط، بل حقيقتها التي حاولت إخفاءها لسنوات خلف أقنعة لا تشبهها. تذكرت أحلامها التي تنازلت عنها، وتذكرت الألم والخذلان اللذين

تعرّضت لهما فحوّلاها إلى شخص آخر لا تعرفه. تاهت بين دروب الحياة، لكنها ها هي الآن تقف وجهًا لوجه مع نفسها. ما أصعب أن يواجه الإنسان ذاته، وما أقسى أن يعيش المرء مغتربًا عن نفسه.

أحسّت وكأن شيئًا ما بداخلها قد وُلد من جديد، تلاشت الحدود بين الملامح والروح، وتحقق الوصال المنشود.

تأملت نفسها مليًّا ثم همست: «سأحاول أن أكون أنا... ولو قليلًا».

بدأت تسمح لنفسها القديمة أن تطفو على السطح. اشترت ألوانًا وريشة لتبحر بهما بعيدًا في عوالم شتّى، وعادت لتزرع الياسمين على شرفتها، والبسمة لا تفارق ثغرها. حلّقت بأحلامها بعيدًا كفراشة تخلّصت أخيرًا من شرنقتها. لم يتغيّر العالم من حولها، لكنها هي من تغيّرت.

أدركت أن المرآة لم تكن سحرية؛ كانت فقط صادقة بما يكفي لتجعلها ترى ما وُوري عنها. وفي كل مرة تنظر إليها، تتذكر أن أسوأ ما يمكن للإنسان أن يخسره... هو نفسه.

الاختلاف[1]

لمى حبوب

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثى وَجَعَلناكُم شُعوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقاكُم إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

يا صاحبي.

جميعنا يرى نفسه متفردًا كالوردة البيضاء، وسط حقل الورود الحمراء.

كما اختلفت الزهور، فمنها: الياسمين والأقحوان.

خلق الله الشحنات، أحدها سالبة والأخرى موجبة.

لماذا خُلقت هكذا؟

سأقتبس قليلًا من "قانون كولوم" الفيزيائي، فانصت جيدًا

---

[1] لمى حبوب كاتبة فلسطينية.

الشحنات المختلفة تتجاذب، والمتشابهة تتنافر.

بالتأكيد لديك ذلك الصديق الذي تأنس به، لكنه يختلف عنك في بعض الأفكار.

كما أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مختلفين في الطباع، ذلك لم يمنعهم أن يتوحدوا تحت راية الإسلام!

وما عجز الرسول ﷺ عن احتوائهم جميعًا.

فليس أبو بكر، كالفاروق.

وذو النورين، ليس أبا حيدرة.

يا صاحبي

لنفترض أن صديقك الذي تحبه، يمتلك هواية تختلف عن خاصتك.

هل هذا يعني نهاية الكوكب؟

أو من الممكن أن تجمعكما الهواية، ولكن لكل منكما ذوقٌ مختلف، فالكتاب متنوعون، وللرسم أنماطٌ كثيرة.

قد تكونان من نفس الدولة، لكنكما نشأتما في بيئتين مختلفتين، أو ربما تربيتما على نفس المبادئ، ومع ذلك تتشاركان القليل من الأفكار.

ومن الممكن أن تختلف اللهجة، أو اللغة، فانظر كيف يتعايش الأكراد والعرب؟ رغم الاختلاف الثقافي واللغوي.

ألا يدعوك هذا للتفكر قليلًا؟

يا خليلي!

وإن كان الاختلاف فيما ذكر سابقًا لا يفسد العلاقة.

فاختلاف الطباع لا يفسدنا.

من الطبيعي أن تختلف طباعنا الشخصية، فأنا ثرثارة بينما أصدقائي يميلون للصمت، أُفضل نوعًا معينًا من الطعام، لا تستسغيه عائلتي.

في البداية، لم أتقبل هذا الاختلاف، حاولت تغييره، لكنني سألت نفسي.

- هل سأحب أن أصادقني؟

تغيرت ملامحي عندما واجهت السؤال، فغصت في أعماقي! ومع الوقت رحبت بهذا الزائر غير المرغوب "الاختلاف"

عندما أقلب صفحات السوشيال ميديا، أغرق في المقارنات، بين "معايير الجمال، وملامحي العادية" وهنالك كثيرون يعانون جراء هذا، فيفقدون ثقتهم بأنفسهم.

لا أعلم لم وُضعت معايير الجمال، فهنالك الملامح "الآسيوية، والشرقية، والروسية، والغربية" فكيف أمكننا حصر كل هذا التنوع، في ما يدعى بمسابقة ملكة الجمال؟

لم نحكم على الشخص، من لون بشرته؟ من ملامحه؟ من شعره إن كان أملسًا أو مجعدًا؟

لم وجهنا نظرنا إلى أفق ضيق؟ بينما يمكننا توسيعه وتقبل هذا التباين!

جعلنا الله متقبلين للاختلاف بالفطرة، لكن النفس توجهه الإنسان ليقاوم الاختلاف أينما وجد

التغيير الروتيني، والاختلاف في وجهات النظر، خير دليل على ذلك.

فإما أن تحاربها لكي ترتاح في حياتك، أو ترتاح كي تشقى لاحقًا.

فأيهما تختار يا صديقي؟

هل تريد أن تكون مثل القطيع، أن تريح عقلك من اتخاذ قرار تستثقله، لأنك لن تتحمل تبعاته؟

-بالطبع لا!

-إذا، فقد اخترت الخيار الأول..

رمشتَ لعدة ثوانٍ، ثم تنهدتَ طويلًا وأجبتَني.

-آه ...

رسمت ابتسامة على ثغري، ساد الصمت، ثم سألتني بنظرات متفحصة.

- هل عليَّ تَقبل الاختلاف الديني والطائفي؟

ملأت رئتي بالهواء، ثم أجبتُك

- يقول الله تعالى

" لا إكراه في الدين"

ابحث في التاريخ الإسلامي ستجد أن نظام الحكم الإسلامي سَمِحٌ من هذه الناحية!

أشعر أنك لم تقتنع بعد!

إذا قام هذا الشخص بإجبارك على دخول دينه أو طائفته هنا يكمن النقاش..

وطبق قول الله تعالى

﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ﴾ [النحل: 125]

وهنا يجب عليك التركيز جيدًا، لأنك ستحاول إقناعه بالدين القويم، وإذ لم يقتنع، ادعُ له بالهداية.

وتصرفات الناس مختلفة في هذا الموقف

فإذا تعادلتما واجتنبتما ذكر الموضوع، ادع له بالهداية.

وإذ ما زال معاندًا، فاقطع العلاقة مباشرة.

أما إذا اهتدى، فقد ربحت كيسًا ذهبيًا من الحسنات.

- لنفترض أنه عنيد، لكنه مقربٌ لي!

رميت سؤالك ولم تكتف، بدأت تفرك شعرك وأكملت السؤال

- ماذا أفعل؟

حدجتني بهذا السؤال، آخ منك، تريد إسقاطي.

هذا ما حدثت نفسي به، تبسمت عيناي، لأردف:

- قال تعالى: ﴿وَعَسى أَن تَكرَهوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُم وَعَسى أَن تُحِبّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُم وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ﴾ [البقرة: 216]

النهوض من جديد [1]

خنساء ينبع – حميدة الأحمدي

النهوض من جديد ليس مجرد حركة جسدية عابرة، بل هو رحلة داخلية عميقة. إنه تلك اللحظة التي تُقرّر فيها الروح أن ترفض البقاء في الظلام. أحيانًا نشعر أن السقوط نهاية كل شيء، لكن الحقيقة أن كل عثرة تحمل في طياتها بداية جديدة لم نكن نتخيّلها.

يمكن أن نُصوّر هذا المشهد في الأذهان ونستدل به على ما سبق، وهو أن تتخيل طفلاً يتعلم المشي؛ فكم مرة يسقط ثم يعود ليحاول من جديد. نعم، هكذا الحياة... تشبه ذلك كثيرًا، فالناس تتعثر ثم تبحث عن طريقة للوقوف. لا أحد يخلو طريقه من الحفر والمطبات، لكن الفارق يكمن بين من يستسلم ومن يقرر المضيّ قدمًا.

وفي لحظات الضعف تلك، نتذكر أنفسنا الحقيقية. نكتشف أن بداخلنا قوة كامنة كالنبع الذي لا ينضب. وكم من شخص مرّ

[1] حميدة الأحمدي كاتبة وإعلامية سعودية، خبيرة تربوية شاركت في مبادرات تعليمية وثقافية رائدة. تؤمن أن الكلمة نور، وأن صناعة الأثر تبدأ من تنمية الوعي وبناء الإنسان.

بتجارب قاسية ظنّها نهاية المطاف، ثم فجأة وجد نفسه يبني من الرماد ما هو أجمل مما كان.

نعم، هو كذلك؛ فالفجر لا يأتي إلا بعد ظلام الليل، والزرع لا ينبت إلا بعد نزول المطر. وكذلك هي حياتنا... محطات متعاقبة من الصعود والهبوط. المهم أن نتعلم كيف نستفيد من كل تجربة، كيف نحول الألم إلى حكمة، والخسارة إلى درس.

إن النهوض الحقيقي يحتاج إلى إيمان عميق؛ ليس مجرد أمل عابر، بل يقين بأن هناك قوة أكبر ترعانا. عندما نثق بأن كل شيء بقدر، وأن بعد العسر يأتي اليسر، نجد بداخلنا طاقة لا تُوصف للمواصلة.

وفي لحظات الوحدة، حين تشعر أن الدنيا قد ضاقت بك، تذكر أن كل شيء مؤقت. الألم يمر كما يمر الفرح، والدموع تجف كما تجف الأمطار. المهم أن تعيش اللحظة دون أن تغرق في بحار اليأس.

واعلم – يرعاك الله – أن الناس تختلف في طريقة نهوضها؛ فالبعض يحتاج إلى وقت طويل، والبعض الآخر ينهض بسرعة. لا تُقارن رحلتك بغيرك، فلكلٍّ منا ظروفه وتحدياته. المهم أن تبقى عيناك على الطريق، وقلبك مفتوحًا لإمكانيات جديدة.

وفي النهاية، النهوض ليس حدثًا واحدًا، بل هو خيار نكرره كل يوم: خيار أن نعيش بكرامة، أن نحب بحرارة، أن نحلم بشجاعة. الحياة تستحق أن نعيشها بكامل طاقتنا، حتى وإن تعثرنا بين الحين والآخر.

تذكر دائمًا أنك أقوى مما تظن، وأن داخل كلٍّ منا بذرة صلابة تنتظر اللحظة المناسبة لتنمو. لا تستسلم أبدًا؛ فربما تكون على بُعد خطوات قليلة من بداية جميلة لم تتخيلها بعد.

أحيانًا يكون النهوض مجرد أن تعترف لنفسك أنك أخطأت، وأن تقرر أن تُغيّر ما تستطيع تغييره. وفي أوقات أخرى، يكون النهوض هو أن تستسلم لما لا يمكنك تغييره، وتؤمن بأن وراء كل شيء حكمة إلهية. ليس كل سقوط يحتاج إلى قتال؛ بعض السقوط يحتاج فقط إلى سلام مع ذاتك، وقبول أن هذه التجربة جاءت لتقوّيك لا لتكسرك.

تأمّل في قصص العظماء والمصلحين: كم مرة سقطوا قبل أن يقفوا من جديد!

النبي الكريم واجه الأذى والطرد، لكنه استمر في دعوته حتى غيّر العالم. وكثير من العلماء رُفضت أفكارهم في البداية، ثم أصبحت كتبهم تُدرَّس في كل مكان. وفي حياتنا اليومية: كم من شخص فقد

وظيفته فكانت بداية مشروعه الخاص، وكم من امرأة عانت خيبة أمل ثم اكتشفت في داخلها قوة ساعدت الآخرين.

نحن ننهض مرة بعد مرة، ليس لأن الحياة سهلة، بل لأن الله يمنحنا قوة خفية. وأجمل نهوض هو حين تكون متأكدًا أن هناك يدًا غير مرئية ترفعك، وأن كل عثرة في الطريق هي مجرد تدريب لخطوات أقوى.

تلك اليد... هي يد الله، التي لا تترك من يلجأ إليها بصدق، والتي تكتب لك العودة أقوى حتى لو شعرت بالضعف.

النهوض مرة أخرى ليس دائمًا مشهدًا دراميًا كبيرًا. قد يكون مجرد ابتسامة خفيفة بعد يوم صعب، أو قرارًا بسيطًا بتجربة شيء جديد بعد خيبة أمل.

ربما بكتابة كلمة واحدة تفتح الباب لإكمال قصة متوقفة. وربما تكون تلك اللحظة التي تنظر فيها إلى نفسك في المرآة دون أن تشعر بالهزيمة.

كل مرة ننهض فيها نعود مختلفين قليلًا...نصبح أكثر عمقًا في تفكيرنا، وأكثر حذرًا في خطواتنا، لكن دون أن نفقد بريق الأمل في داخلنا.

السقوط ليس عارًا؛ العار الحقيقي هو أن تبقى مستلقيًا على الأرض وأنت تمتلك كل هذه القوة الكامنة.

الطبيعة حولنا تروي لنا هذه القصة كل يوم: تلك الشجرة التي تفقد أوراقها في الخريف ليست تموت... إنها تستعد لارتداء ثوب جديد في الربيع. والزهرة التي تنحني تحت قطرات المطر لا تنكسر... بل تكتسب قوة جديدة.

حتى الفجر يأتي بعد ساعات الليل المظلمة ليذكرنا أن النور ينتظر خلف كل ظلمة.

في كل مرة نتعثر فيها، نكتشف جوانب جديدة من شخصياتنا. ندرك أننا أقوى مما كنا نعتقد. نتعلم أن الألم يمكن أن يكون معلمًا... يرشدنا نحو نسخة أكثر صلابة وصبرًا من أنفسنا.

كُنْ جَمِيلًا [1]

جمال شمس الدين

عِنْدَمَا تَخَرَّجْتُ مِنَ الثَّانَوِيَّةِ الْعَامَّةِ بِتَقْدِيرٍ عَالٍ فِي عَامِ 1950م فِي بَغْدَادَ، وَحَصَلْتُ عَلَى مِنْحَةٍ مِنَ الدَّوْلَةِ لِدِرَاسَةِ الْجَامِعَةِ فِي بَارِيسَ عَاصِمَةِ فَرَنْسَا، لِتَكْمِلَةِ دِرَاسَتِي الْجَامِعِيَّةِ، دَرَجَةِ بَكَالُورْيُوس، لِأَخْدُمَ بَلَدِي الَّذِي أَعْطَانِي الْكَثِيرَ.

وَعِنْدَ وُصُولِي إِلَى بَارِيسَ بِعِدَّةِ أَيَّامٍ بَدَأْنَا أَنَا وَزُمَلَائِي الْعِرَاقِيُّونَ الْمُبْتَعَثُونَ لِلدِّرَاسَةِ نَتَعَرَّفُ عَلَى الْبَلَدِ، نَزُورُ الْأَمَاكِنَ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا الْفَرَنْسِيُّونَ، فَقَرَّرْنَا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْيَوْمُ زِيَارَةً خَاصَّةً إِلَى مَتْحَفِ اللُّوفَرِ.

وَذَهَبْنَا مُتَشَوِّقِينَ مَشْدُودِينَ لِرُؤْيَةِ هَذَا الْمَتْحَفِ الْعَالَمِيِّ الَّذِي سَمِعْنَا عَنْهُ كَثِيرًا فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَعِنْدَ دُخُولِنَا رَأَيْنَا مَا لَمْ نَرَهُ مِنْ قَبْلُ، وَخَاصَّةً أَنَا لَمْ أَرَ شَيْئًا فِي حَيَاتِي مِثْلَ الَّذِي أَرَاهُ، وَأُصِبْتُ بِدَهْشَةٍ عَارِمَةٍ تُجَاهَ مَا رَأَتْهُ عَيْنَايَ.

---

[1] جمال شمس الدين، عاشق الضاد، باحث لغوي ومؤلف قصصي سعودي، له عدة أبحاث محكَّمَة دوليًا، ومجموعة من المؤلفات الأدبية، منطقة جازان – محافظة صامطة.

Dr.jamal2@hotmail.com

وَجَدْتُ النَّاسَ مُزْدَحِمِينَ بِشِدَّةٍ مُجْتَمِعِينَ كَأَنَّهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ طَبَقًا طَبَقًا، وَكَانَ ازْدِحَامًا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ أَمَامَ لَوْحَةِ الْمُونَالِيزَا الَّتِي تَعُودُ لِلْقَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ لِلْفَنَّانِ لِيُونَارْدُو دَافِنْشِي الَّتِي رَسَمَهَا خِلَالَ عَصْرِ النَّهْضَةِ الْإِيطَالِيَّةِ فِي عَامِ 1503م.

كَانَ ازْدِحَامًا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ أَمَامَ تِلْكَ اللَّوْحَةِ، وَحَشَرْتُ نَفْسِي فِي الدُّخُولِ وَالْعِرَاكِ مَعَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ، وَفِي مَعْمَعَةِ الزِّحَامِ، لِأَرَى مَا يَرَوْنَهُ، وَفِعْلًا دَخَلْتُ وَرَأَيْتُ مَا يَرَاهُ النَّاسُ، وَالَّذِي فَاقَ تَصَوُّرِي مَا الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَزَاحَمُونَ وَعَلَى مَاذَا؟!

فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ كَالثَّعَابِينِ يَلْتَفُّونَ حَوْلَ لَوْحَةِ صُورَةٍ لِامْرَأَةٍ مَجْهُولَةِ الْمَلَامِحِ حَتَّى بِدُونِ حَوَاجِبَ.

ياه! مَا الَّذِي أَرَاهُ؟ أَيُعْقَلُ هَذَا الزِّحَامُ لِأَجْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ الْحَقِيرَةِ؟ فَانْفَجَرْتُ غَارِقًا فِي نَوْبَةٍ مِنَ الضَّحِكِ الْمُسْتَمِرَّةِ.

كُلُّ هَذَا وَمِنْ أَجْلِ مَاذَا؟ صُورَةٌ لِامْرَأَةٍ لَمْ تَكُنْ حَسْنَاءَ وَلَمْ تَكُنْ فَاتِنَةً، حَتَّى لَمْ تَكُنْ لَهَا حَوَاجِبُ مِثْلَ بَقِيَّةِ النِّسَاءِ؟!

خَرَجْتُ ضَاحِكًا مِنْ مَتْحَفِ اللُّوفَرِ مُقَرِّرًا أَلَّا أَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى لِهَذِهِ التَّفَاهَاتِ مِنَ الرُّسُومَاتِ.

وَدَارَتِ الْأَيَّامُ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَسَابِيعَ دَخَلْنَا الْجَامِعَةَ، وَبَدَأَتِ الدُّرُوسُ وَالْمُحَاضَرَاتُ تَنْهَالُ عَلَى رُؤُوسِنَا كَزَخَّاتِ الْمَطَرِ، وَإِذْ هُنَاكَ مَادَّةٌ لَا بُدَّ مِنْ دِرَاسَتِهَا عِنْدَ الدُّكْتُورِ أَرْثَر مَارْك.

كَانَتْ مَادَّةَ تَذَوُّقِ الْجَمَالِ، فَبَدَأَ أُسْتَاذُ الْمَادَّةِ الدُّكْتُورُ أَرْثَر مَارْك يُعَلِّمُنَا كَيْفَ نَتَذَوَّقُ الْجَمَالَ مِنْ حَوْلِنَا، وَبَعْدَ مُنَاقَشَةِ عِدَّةِ مُحَاضَرَاتٍ مُكَثَّفَةٍ وَوَاجِبَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ الَّتِي فَرَضَهَا أُسْتَاذُ الْمَادَّةِ، فَتَغَيَّرَتْ مَدَارِكِي، وَوَعَيْتُ بِمَنْ حَوْلِي، وَأَدْرَكْتُ لَذَّةَ الْجَمَالِ مِنْ حَوْلِي.

بَدَأْتُ أَنْظُرُ لِلْأَشْيَاءِ لَيْسَ كَمَا كَانَتْ مِنْ ذِي قَبْلُ، بَلْ أَصْبَحْتُ أَنْظُرُ وَأُحَاكِيهَا وَأَتَرَنَّمُ دَاخِلَ الْأَشْيَاءِ الْجَمِيلَةِ بِعُمْقٍ كَمَا تَعِيشُهَا الطَّبِيعَةُ، وَكَمَا خَلَقَهَا اللَّهُ، وَوَضَعَ فِيهَا بَصَمَاتِ الْجَمَالِ.

فَبَدَأْتُ أَنْظُرُ بِمَنْظُورِ (الْحَيَاةُ حُلْوَةٌ) كَمَا سَمِعْنَا أَلْحَانَهَا الْجَمِيلَةَ مِنَ الْمُوسِيقَارِ مَلِكِ الْعُودِ الْعَرَبِيّ مِنْ فَرِيدِ الْأَطْرَشِ.

وَتَنَاغَمْتُ مَعَ الْجَمَالِ الدَّاخِلِيّ فِي ذَاتِي، وَمَعَ وَاقِعِ مَنْظَرِ الْجَمَالِ الْخَارِجِيّ.

وَأَخَذْتُ أُرَدِّدُ قَوْلَ الشَّاعِرِ إِيلْيَا أَبُو مَاضِي:

أَيُّهَا الشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ

كُنْ جَمِيلًا تَرَ الْوُجُودَ جَمِيلًا

فَتَغَيَّرَتْ حَيَاتِي، فَبَدَأْتُ أَرَى الْجَمَالَ فِي النَّاسِ، فِي ابْتِسَامَاتِهِمْ، وَفِي نَمَطِ حَيَاتِهِمْ، وَفِي مَلْبَسِهِمْ.

قَرَّرْتُ أَنْ أَعْمَلَ جَوْلَةً عَلَى الْحَدَائِقِ لِأَرَى زُهُورَهَا الجَمِيْلَةِ وَأَعْشَابَهَا الخَضْرَاء الَّتِي تَنْمُو حَوْلَ تِلْكَ الزُّهُورِ الْبَدِيعَةِ، وَأَرَى الْأَطْفَالَ الصِّغَارَ حَوْلَهَا يَمْرَحُونَ وَيَلْعَبُونَ، لِأَكْتَشِفَ ذَلِكَ الْجَمَالَ الرَّبَّانِيَّ الَّذِي كَانَتْ لَا تَرَاهُ عَيْنَايَ.

ياه! مَا أَجْمَلَ الْحَيَاةَ!، كَمْ كُنْتُ مَحْرُومًا مِنْ لَذَّةِ جَمَالِهَا، وَذَهَبْتُ لِأَرَى بُرْجَ إِيفِل مِنْ جَدِيدٍ، فَرَأَيْتُ الْإِبْدَاعَ فِي فَنِّ تَصْمِيمِ بُرْجِ إِيفِل الَّذِي هُوَ مِنْ صُنْعِ الْإِنْسَانِ.

كَيْفَ فَكَّرَ فِي تَشْيِيدِ هَذَا الصَّرْحِ الْمُنَسَّقِ الشَّاهِقِ الْعَظِيمِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

قَرَّرْتُ الْعَوْدَةَ لِمَتْحَفِ اللُّوفَرِ مِنْ جَدِيدٍ لِأَكْتَشِفَ ذَلِكَ الْجَمَالَ فِيهِ، وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ فَأَخَذْتُ أَمْشِي فِي أَرْوِقَةِ الْمَتْحَفِ عَلَى عَجَلٍ أَبْحَثُ

عَنْ لَوْحَةِ الْمُونَالِيزَا بِلَهْفَةٍ وَاشْتِيَاقٍ، أُرِيدُ أَنْ أَرَى مَا لَمْ أَرَهُ مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا أَعْمَى لِأَنَّنِي قَادِمٌ مِنْ صَحْرَاءِ الْخَلِيجِ الْقَاحِلَةِ الَّتِي لَا أَرَى فِيهَا سِوَى رِمَالٍ كالجِبَـالِ وَمَوَاشٍ كالْفَرَاشِ الْمَبْثُوْث، وَلِأَعْتَذِرَ لَهَا عَنْ سُوءِ فَهْمِي لِجَمَالِهَا عَلَّهَا تَقْبَلُ عُذْرِي.

هَا هِيَ الَّتِي أَبْحَثُ عَنْهَا، أَيُعْقَلُ مَا أَرَاهُ؟! رَأَيْتُ أَجْمَلَ صُورَةٍ رَسَمَهَا إِنْسَانٌ وَأَبْدَعَ فِي رَسْمِهِ لِلْمُونَالِيزَا.

شَيْءٌ جَمِيلٌ وَإِبْدَاعٌ أَجْمَلُ، تَفَنُّنٌ فِي الْأَلْوَانِ وَتَنَاغُمِهَا وَتَنَاسُقِهَا، وَأَجِدُ نَفْسِي نَشْوَانَ فِي عَالَمِ التَّذَوُّقِ وَالْجَمَالِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَخِيرًا رَدَّ اللَّهُ لِي بَصَرِي.

رَأَيْتُ أَشْيَاءَ لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا أَبَدًا، حَقًّا كُنْتُ أَعْمَى، فَتَغَيَّرَتْ نَظْرَتِي لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِي، وَذَلِكَ بِسَبَبِ دِرَاسَةِ هَذِهِ الْمَادَّةِ الَّتِي صَيَّرَتْنِي أَرَى الْأَشْيَاءَ لَيْسَتْ كَجَمَادَاتٍ، بَلْ أَرَاهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ طَبِيعَةٍ وَإِبْدَاعٍ وَجَمَالٍ، بِجَمِيْلِهَا وَحَسْنَائِهَا وَطَائِرِهَا كَيْفَ غَنَّى وَصَدَحَ فِيْ آفَاقِ الْسَّمَاء الرحيبةِ.

النِّسَاءُ يُخْرِبْنَ الْبُيُوتَ [1]

جمال شمس الدين

نَعَمْ، هُنَالِكَ نِسَاءٌ يُخْرِبْنَ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ مِنْ أَجْلِ حَسَدٍ أَوْ غَيْرَةٍ مِنْ فُلَانَةَ، أَوْ تُرِيدُ خَرَابَ بَيْتِ أُخْرَى انْتِقَامًا مِنْ زَوْجٍ لَهَا.

تَزَوَّجَ سَالِمٌ بِالزَّوْجَةِ الثَّانِيَةِ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ أَخَذَ رَأْيَ زَوْجَتِهِ الْأُولَى، وَبِمَحْضِ إِرَادَتِهَا وَمُوَافَقَتِهَا، وَبَعْدَ زَوَاجِهِ مِنَ الثَّانِيَةِ، فَكَانَ يَذْهَبُ بِاسْتِمْرَارٍ لِزَوْجَتِهِ الْأُولَى لِيُلَبِّيَ طَلَبَاتِهَا وَطَلَبَاتِ أَوْلَادِهِمَا، وَيَذْهَبُ بَعْدَهَا إِلَى زَوْجَتِهِ الثَّانِيَةِ.

يَقُولُ سَالِمٌ: بَعْدَ عِدَّةِ أَسَابِيعَ لَاحَظْتُ مِنْ زَوْجَتِي الْأُولَى تَصَرُّفَاتٍ وَتَغْيِيرًا لَمْ أَعْهَدْهُ فِي حَيَاتِي مَعَهَا، كُنْتُ أَرَاهَا عَصَبِيَّةً مُتَذَمِّرَةً مُتَأَفِّفَةً كَثِيرَةَ الشَّكْوَى مِنْ حَيَاتِهَا مَعِي، وَبَدَأَ الشَّكُّ يُرَاوِدُنِي، بَدَأْتُ أُفَكِّرُ مَا الَّذِي جَرَى فِي غِيَابِي عَنْهَا؟! فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ غَيَّرَهَا عَلَيَّ، فَتَذَكَّرْتُ فَوْرًا الْقَوْلَ الشَّهِيرَ: فَتِّشْ عَنِ الْمَرْأَةِ تَجِدِ السَّبَبَ؟!

---

[1] جمال شمس الدين، عاشق الضاد، باحث لغوي ومؤلف قصصي سعودي، له عدة أبحاث محكَّمَة دوليًا، ومجموعة من المؤلفات الأدبية، منطقة جازان ـــــــ محافظة صامطة. Dr.jamal2@hotmail.com.

صَمَّمْتُ أَنْ أُرَابِطَ أَمَامَ بَابِ بَيْتِ زَوْجَتِي الْأُولَى، وَفِي وَقْتِ الْعَصْرِ رَأَيْتُ نِسَاءً كَثِيرَاتٍ يَدْخُلْنَ الْبَيْتَ عِنْدَ زَوْجَتِي الْأُولَى وَكَأَنَّهُ بَيْتٌ لِلْعَزَاءِ، كُنْتُ جَالِسًا أُرَاقِبُ النِّسَاءَ حَتَّى وَقْتِ الْمَغْرِبِ، وَانْتَهَتْ زِيَارَةُ النِّسَاءِ الْكَثِيرَاتِ مِنْ بَيْتِي.

دَخَلْتُ وَكَأَنِّي لَا أَعْرِفُ شَيْئًا، فَوَجَدْتُ زَوْجَتِي الْأُولَى بَاكِيَةً وَتَضَعُ عَلَى رَأْسِهَا طَرْحَةً سَوْدَاءَ، جِئْتُ إِلَيْهَا فِي ذُهُولٍ وَدَهْشَةٍ: مَا الَّذِي جَرَى؟! أَمَاتَ أَحَدٌ مِنَ الْعَائِلَةِ؟! وَأَنَا لَا أَدْرِي.. قَالَتْ: لَا.. مَا الَّذِي جَرَى قُولِي؟! قَالَتْ بِصَوْتٍ عَالٍ غَاضِبٍ: لَا شَيْءَ، وَلَكِنَّنِي فِي سَلَامَةٍ وَخَيْرٍ.. وَخَرَجْتُ أَبْحَثُ وَأُفَكِّرُ مَعَ نَفْسِي يَا تُرَى مَا هُوَ السَّبَبُ؟! لَا بُدَّ أَنَّ فِي الْمَوْضُوعِ شَيْئًا! زِيَارَةُ نِسَاءٍ كَثِيرَاتٍ وَزَوْجَتِي حَزِينَةٌ حَسِيفَةٌ كَئِيبَةٌ، هُنَاكَ سِرٌّ وَأَنَا لَا أَعْلَمُهُ!!

فِي الْيَوْمِ التَّالِي جَلَسْتُ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ أُرَاقِبُ مَا الَّذِي سَيَجْرِي هُنَا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْجِيرَانِ قَادِمَةً نَحْوَ بَيْتِي تُرِيدُ الدُّخُولَ عِنْدَ زَوْجَتِي الْأُولَى، وَعَرَفْتُ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّهَا فُلَانَةُ، فَأَوْقَفْتُهَا وَسَأَلْتُهَا مَاذَا تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ أُمَّ فُلَانٍ. قُلْتُ لَهَا: أَنْتِ عُمْرَكِ لَمْ تَقُومِي بِزِيَارَتِهَا، مَا الَّذِي أَتَى بِكِ إِلَى هُنَا؟!

قَالَتْ: جِئْتُ لِأُطَيِّبَ خَاطِرَهَا لِأَنَّكَ تَزَوَّجْتَ عَلَيْهَا، قُلْتُ: وَهَلِ اشْتَكَتْ لَكِ بِأَنَّهَا مَكْسُورَةَ الخَاطِر؟ قَالَتْ: لَا! قُلْتُ لَهَا: وَمَا حَشْرُكِ فِي

شُؤُونِنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ ظَلَمْتَهَا بِشِدَّةٍ عِنْدَمَا تَزَوَّجْتَ عَلَيْهَا، وَمِنَ الْوَاجِبِ أَنْ أَقِفَ فِي مِحْنَتِهَا وَبِجَانِبِهَا لِأَنَّهَا مَكْسُورَةُ الْخَاطِرِ!

قُلْتُ لَهَا: أَنْتِ مَعْرُوفَةٌ فِي الْحَيِّ كُلِّهِ بِأَنَّكِ فَتَّانَةٌ، خَرَّابَةُ بُيُوتٍ، وَتُرِيدِينَ أَنْ تُخْرِبِي عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ الْحَرِيمُ اللَّاتِي مَعَكِ خَرَّابَاتُ بُيُوتٍ.

قَالَتْ بِصَوْتٍ فِيهِ خَوْفٍ وَقَلَقٍ: أَهِيَ مَوْجُودَةٌ؟ فَغَضِبْتُ وَمَدَدْتُ يَدِي وَمَسَكْتُ بِشَعْرِ رَأْسِهَا بِغِلْظَةٍ وَبِشِدَّةٍ، وَأَخَذَتْ تَصْرُخُ، وَقُلْتُ لَهَا:

أُقْسِمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ لَوْ أَرَاكِ هُنَا يَا خَرَّابَةَ الْبُيُوتِ مَرَّةً أُخْرَى لَأَدْفِنَنَّكِ فِي مَكَانِكِ هَذَا، وَدَفَعْتُهَا بِقُوَّتِي لِلْأَمَامِ نَحْوَ الشَّارِعِ حَتَّى سَقَطَتْ وَنَهَضَتْ تَجْرِي لِبَيْتِهَا.

جَلَسْتُ فِي مَكَانِي أَنْتَظِرُ النِّسَاءَ اللَّاتِي سَيَأْتِينَ، وَكُلَّمَا جَاءَتِ امْرَأَةٌ نَهَرْتُهَا مُرَدِّدًا حَدِيثَ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {لَعَنَ اللَّهُ مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا}، وَأَطْرُدُ فِيهِنَّ وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى لِمُدَّةِ أُسْبُوعَيْنِ كَامِلَيْنِ، فَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعَتْ زَوْجَتِي الْأُولَى كَمَا كَانَتْ تَتَكَلَّمُ وَتُمَازِحُنِي وَنَضْحَكُ مَعًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

قَالَ لِي كَلِمَةً لَنْ أَنْسَاهَا الْعُمُرَ كُلَّهُ: إِذَا تَزَوَّجْتَ الثَّانِيَةَ فَاحْذَرِ النِّسَاءَ، فَلَنْ يَتْرُكْنَكَ فِي حَالِكَ، وَيَسْعَيْنَ لِخَرَابِ أَحَدِ بَيْتَيْكَ.

فِعْلًا خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، فَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ بَدَأَ بِتَحْلِيلِ الزَّوَاجِ لِلرَّجُلِ مِنَ اثْنَتَيْنِ وَلَمْ يَبْدَأْ بِوَاحِدَةٍ، قَالَ اللَّهُ تعالى {فَانكِحُوا مَا طَابَ

لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا} سورة النساء الآية 3

وَذَلِكَ لِحِكْمَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ الخَالِقُ العَالِمُ بِاحْتِيَاجَاتِ الرَّجُلِ.

ثم تولّ إلى الظل[1]

نوفل بيروك

اعلم يا من اشتدَّ عليه الحالُ، وعجز عن وصف عجزه المقالُ، وبلغ به السهاد الليالي الطوال، وفقد الحيلة، وضاقَتْ عليه الأرض بما رحبت، اعْلَمْ- يرحمك الله – أن مع العسر يسرًا وأن بعد عسر يسرا، ولك في السابقين عبر وآيات، فمنهم من بلغ الغايات، ومنهم من ضَلَّ الطريق وتاه في الظُّلُمات.

فحَدِّث نفسك بما يرتقي بهمَّتِها، ويوقظها من غفوتها، وينقذها من هفوتها، وفتِّش في تاريخ الأُمَم السابقة عن أسباب العِزِّ وعَضَّ عليها بالنواجذ، وفتِّش عن أسباب الذُّلِّ وفِرَّ منها فرارك من قَسْورة، واعْلَمْ أن الأتراح ماضية كما أن الأفراح أيضًا ماضية؛ لكن أسباب النجاة وسُبُل الثبات لا يُمْكِن أن تكون في غير الخط المرسوم من يد المعصوم، فقد روى أحمد عن ابن مسعود أنه قال: "أن الرسول صلى الله عليه وسلم خَطَّ خطًّا مستقيمًا، فقال: هذا سبيل الله، ثم خَطَّ خطوطًا عن يمينه وشماله، فقال: هذه السُّبُل، وعلى كل

---

[1] نوفل بيروك، كاتب مغربي.

سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ الآية: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام: 153].

فتلك طريق الخلاص بيَّنَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِمَنْ رامَ السَّلامة، فلطريق الله علامات وإشارات، مَنِ اتَّبَعها لم يضِلَّ، ومَنِ اقْتَفَى أثَرَها لم يزل، وأوَّل تلك العلامات بلا ريب توحيد الله عز وجل؛ توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية، توحيده سبحانه وتعالى توحيدًا يُنزِّه صاحبَه عن الوقوع في براثن الشرك الأصغر فضلًا عن الشِّرْك الأكبر.

وأمَّا توحيد الربوبية فهو أن يقِرَّ العبدُ بأن الله عز وجل ربُّ كل شيء ومليكه، وأن الخلق والرزق والنجاة والموت بيده وحده، قال عز من قائل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

فإذا استوعب الإنسان هذه المعاني، اطمأنَّتْ نفسُه، واستوطنت على مفهوم التسليم المفضي إلى السلامة، فعلمت يقينًا أن حياتها ورِزْقها وحالها ومآلها بيد من بيده كل شيء، وأنه ليس بيد إنس ولا جان شيء ممَّا يغير الأحوال، أو يُلحِق الضرر أو يجر النفع.

وتوحيد الألوهية هو إفراد الله عز وجل بالعبادة قولًا ونيَّةً وفِعْلًا، وهو المقصود بالعبادة والتقرُّب لا غيره، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56 - 58].

فعلى هذا المعنى يجب على العبد أن يدرك أن رزقه ليس بيد ربِّ العمل، وأن شفاءه ليس بيد الطبيب، وأن موته ليس لأحد أن يحسم فيه، وأنَّ الناس أجمعين لا يملكون ضرَّه ولا نفعه إلا بإذن الله.

ولا أدَّعِي هنا أن الإنسان يستطيع استحضار هذه المعاني في حِلِّه وترحاله، وفي علانية وفي نجواه، فالسماء في صحوها لا بُدَّ وأن تخالطها السُّحُب، والبحر مهما بلغ سكونه لا بُدَّ للمتلاطمات أن تعتريه، وكذلك هي النفس البشرية، وإن بلغت من اليقين والثبات مبلغ الناسك المُتعبِّد فلا بُدَّ أن يعتريها كدر، ولا بُدَّ للوسواس الخَنَّاس أن يوسوس لها بما يوقعها في المطبَّات؛ بل حتى الرُّسُل والأنبياء لم يسلموا من ذلك، قال ربي جل في علاه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: 52].

وفي التفسير الميسر ورد في معنى الآية: "﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ - أيُّها الرسول – ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا﴾ قرأ كتاب الله ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ في قراءته الوساوس والشُّبُهات؛ ليصدَّ الناس عن اتِّباع ما يقرؤه ويتلوه؛ لكن الله يبطل كيد الشيطان، فيزيل وساوسه، ويثبت آياته الواضحات، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما كان ويكون، لا تخفى عليه خافية، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تقديره وأمره."

فالتذبْذُب بين الحق والباطل، وبين اليقين والوسوسة، سُنَّةٌ كونيَّةٌ طُبِعَتْ عليها البشريَّة، ولا تخلو نفس من وسوسة وتحريض وتجاذب مهما ارتقت في مدارج الصلاح.

فالمؤمن الذي أسلم لله وجهه، وأخضع لأوامره قلبه، وبنى على ذلك عمله، حين يعتريه ما يعتريه من نقص وتقصير يهرول قارعًا باب التوبة والأوْبَة، فيستجيب له ربُّه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 17]، وأمَّا من اتبع بقية الخطوط والسُّبُل المتشعِّبة غير سبيل الحق، وغالى في المعاصي، وأسرف ولم يلتفت، فذاك سقطاته مميتة ومهلكة، إلا أن يتغمَّدَه الله برحمته فيمُنُّ عليه بالتوبة قبل الغرغرة، فمثله غالبًا ما يكون في هَمٍّ وغَمٍّ وكَدَرٍ، حتى وإن كان بين الناس يتصنَّع السعادة، فقد قال الله سبحانه وتعالى عن الذين تركوا ذكر الله وراءهم ظهريًّا: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: 124]، ومثله تجده يعبد ربَّ العمل معتقدًا أن رزقه بيده، وإذا مرض اعتقد الشفاء في عيادة طبيب، وإذا لم يشف لم يترك بيت مدر ولا وبر قاصدًا كل ساحر وعرَّاف ومُشعْوِذ ظانًّا أن الفِكاك بيدهم والعياذ بالله، فالتحصُّن لا يكون إلا بالحصن المنيع، وليس بفقاعة هواء تنقض التوحيد، وتخلع الإسلام عن رقبة المحتمي بحِماها.

ومن الناس مَنْ يغترُّ بعصاة انثالت عليهم الدنيا بزخرفها، وفتحت لهم أبوابها، وأغدقت عليهم بخيراتها، وتبدو عليهم مظاهر الفرح والسعادة والسرور، ولم يعلم المسكين أن الأمر أحد الأمرين؛ إما استدراج من الله لمن يئست التوبة منه، فيأخذه الله وأمثاله بما كسب من الإثم في الدنيا بتعجيل العقاب، أو في الآخرة فيلقى أشد الحساب، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: 16]، هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني: كثيرٌ من هؤلاء سعادتهم مزيَّفة، تراهم في أفخر المظاهر وأحسنها؛ لكن قلوبهم تعتصر هَمًّا وكمدًا، وأبدانهم منخورة فعلت فيها الأمراض الأفاعيل فتنغص عليهم حياتهم فيحسدون المقتر الفقير، ويودون لو يفتدون سلامتهم بأموال الدنيا كلها، فكم مترفًا غنيًّا تجده موصولًا بآلات إذا انفكت عنه هلك.

وأُنبّه هنا إلى أن المقصود من الكلام ليس أن كل غني عاصٍ أو ظالم، وليس على المؤمن أن يكون مقترًا فقيرًا؛ بل هو العكس والنقيض؛ فقد رغب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الكسب والاغتناء، ويدل على ذلك حديث المتصدّق وهذا مَتْنُه: ((عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ))؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيجمل بالمؤمن التَّقيّ الورع أن يلتمس أسباب الرزق، فبمثل أمواله تُوزَّع الصدقات، وتؤدَّى الزكاة، ويُرفَع الحرج عن المعسر، وتفك كرب المقتر، فالدنيا في حقيقتها ليس على ما ظهر وإنما على ما علم الله وخبر.

فإذا حزبك أمر وبلغ منك القهر وراغ عليك اليأس واشتد بك البأس فافعل فعل موسى ولا تفعل فعلته، قمة توضأ وتول إلى ظل شجرة الرحمان الوارف ظلها وقل بكل جوارحك رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير وانتظر عجائب الله في قدرته على التنفيس والتيسير

ما يليق بالمؤمن حينَ البأس هو أن يأوي إلى ركن شديد، ولا أشد من كلام الله مانعا وطبيبا وبلسما، فجراح الأرواح دواؤها كلام الله،

وكسور النفوس جبرها آيات الرحمن، ونزيف القلب يضمد بقصص الأولين من الصابرين والصادقين والمبتلين.

فالقرآن مواساة من الله إذ هو كلامه وخطابه، قال ربنا عز وجل (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)، والابتعاد عن المصحة القرآنية والمستشفى الرباني لا شك أنه يورث الشقاء حتماً، قال جل وعلا (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا).

وبمفهوم المخالفة من أقبل على ذكر الله وآياته فإن له معيشة طيبة سعيدة مطمئنة، فمن عاش لحظاته بين دفتي المصحف متفحصاً ومتأملاً لمعاني القرآن، مستحضراً أن الله عز وجل يخاطبه بكلامه في تلك الأثناء، حاز من السعادة ما تقر به عينه وتسكن به فؤاده، ويهيم به خلده، وينتعش له لبه وفكره.

فاعلم حفظك الله، أن القلب يصدأ إذا لم تتعهده بما يزيل عنه الكساد والفساد وغبار المعاصي، وما أجد لذلك أفضل من كتاب صانع القلوب

فالفلاحَ الفلاحَ لمن خفض جناحه للمؤمنين، وركن إلى كتاب الله المبين، واتَّبَع سُنَّة نبيِّه الأمين، وصبر واحتسب في الضرَّاء، ودعا ربَّ العالمين، وشكر وحمد في السرَّاء وأعطى باليمين، ذاك سبيل من تشوَّف إلى حسن العاقبة والقرار المبين، جنات عَدْن مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ

لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83].

بلا عنوان... ككلِّ البيوتِ المهدَّمة[1]

نور سعيد ظاهر

تنويه: قبل القراءة... هذا الكلام لا يعبّر عن 1% مما عشناه. كتبتُ، والكلام قليلٌ ليصف ما بداخلي، والمعاني تاهت بين أضلعي تبحث عن صوتٍ يحتمل ثِقل الشعور.

فأنا لا أكتب... أنا أنزف حروفًا لعلّها تُنقذني من صمتي الكبير، لعلّها تنتشلني من واقعي المؤلم، لعلّها تضيء عتمة أيّامي وتزرع أملًا في أرضٍ جفّت من الانتظار.

في مدينتي غزّة، لا يُقاس الوقت بالساعات، بل بعدد الصواريخ التي تنهمر على رؤوسنا، بعدد الأرواح التي فارقتنا بلا وداع، بعدد الخُطى القاسية التي أُجبرنا على أن نترك منازلنا بسببها. روحي تتحدّث عن أشياءٍ لا تُقال: عن التعب الذي خبّأته خلف ابتسامتي، عن حنينٍ لأيامٍ لم تعد، وعن قلوبٍ سكنت قلبي ولم تغادره يومًا.

---

[1] نور سعيد ظاهر، كاتب فلسطيني.

دائمًا ما أقول لنفسي إنّها ستفرج بعد كل هذا الضيق، لكنني مُتعبة من كل شيء... من نفسي التي أنتشلها من هنا إلى هناك. لقد تركنا منازلنا لنُنقذ أنفسنا من الهلاك، وهنا أخطأنا؛ لأننا لم ندرك في ذلك الحين أن لا حياة لنا بدون المنزل والذكريات التي عشناها فيه.

لقد أصبحتُ تائهة...بقي قلبي في الماضي، وجسدي يُصارع هذا الحاضر المؤلم.

وها أنا في عمر العشرين، ومن في عمري يبنوْن مستقبلهم، بينما أنا ما زلت أبحث عن نفسي بين أزقّة الماضي، وأتألّم من الداخل. أعيش حياة لا تُشبهني، وواقعًا لا يُمثّلني.

وُضعتُ في مكانٍ ليس مكاني، وأُجبرتُ على أوضاعٍ تكبرني بمراحل. لقد انكسرتُ بشدّة... لم أرغب بحياة كهذه، حياةٍ لا رأي لي فيها. هذه لستُ أنا.

أشعر بالاختناق، وأصبحت ترافقني رجفة يدي، وقلبي ينبض بشدّة خوفًا من حدوث شيء لأحد أفراد عائلتي.

لقد قُذفتُ من السماء إلى سابع أرض، ولم يشعر بي أحد. أعيش وسط الأموات، وأتنفّس وأنا أشعر بالاختناق.

مـــا أســـوأ أن تفقـــد أشخاصًـــا لا تتخيّـــل حياتـــك بـــدونهم... وما أبشع أن تترك بيتك رغمًا عنك.

والتعب الحقيقي هو أن تعيش غربةً داخل وطنك.

لم نعتد هذه الحياة المتعبة المؤلمة... نحن أُجبرنا عليها.

أريد أن أجد نفسي القديمة، المليئة بالطاقة والحب لأصغر التفاصيل.

لكن الذي أعلمه أن ما أنا عليه اليوم ...لستُ أنا.

أعـيش كطـائرٍ مسـجونٍ داخـل وطنـه؛ يريـد أن يحلّـق في السـماء، فقـــاموا بقـــصّ جناحيـــه بحجّـــة أنهـــم يحـــافظون عليـــه. يريد أن يزقزق بأعلى صوته، فقطعوا عنه الماء والطعام حتى يذبل ويختفي صوته. يريد الحرية... الحرية لا غير.

إنني طائرٌ ولستُ قاتلة. أريد أن أُحلّق بسلام فقط... أهذا حلمٌ صعب المنال؟

أعيش في مدينة لا يتوفر فيها كسرة خبز. أصبح بعضنا يعيش على وجبة واحدة في اليوم، وبالطبع لن تُشبعك ولن تقوّيك.

والبعض الآخر لا يستطيع توفير هذه الوجبة، لأن الغذاء الموجود قليل ويُشترى بأسعار خيالية تفوق قدرة شعبٍ محاصر، يُقتل ويُهجّر ويُباد بجميع الوسائل داخليًا وخارجيًا.

أصبحت الأجساد تتساقط من ضعفها وثقل همّها، وقلة حيلتها وكثرة تفكيرها. أصبح الأب يضع رأسه على الوسادة ولا يستطيع النوم وهو يفكّر: كيف سيؤمّن لعائلته غذاء اليوم التالي؟

نحن شعبٌ عاش بعزّ ورفاهية ورأسٍ مرفوعة وكرامة... لا يليق بنا ما حلّ بنا.

الروح مثقلة، تتساقط شيئًا فشيئًا. والقلب حزين، يتمزق بصمت. والعقل شارد، يعود بين الحين والآخر. والجسد غريبٌ ينتظر العودة إلى موطنه. وأنا... المثقلة، الحزينة، الشاردة، الغريبة.

ومن كثرة الضغوطات والتفكير... أصبحت أُحادث نفسي:

أنا: ألا نستحق الراحة بعد كل هذا التعب؟

عقلي :سننال الراحة، لا تقلقي. لكننا كُتب علينا راحة الآخرة وتعب الدنيا. أنا :أَيَعني هذا أنني سأبقى عالقة، سجينة داخل وطنٍ لا حياة لي فيه، حتى يأتي أجلي؟

عقلي :نعم، هذه حياتنا، ويجب أن نتقبّلها ونرضى بما كتبه الله لنا.
أنا: لا أعترض على حكم الله، لكنني أرفض أن أعيش حياتي بهذا الشكل، بكل هذه المعاناة.

وهنا... تَدَخّل قلبي:

قلبي :وحتى لو عادت الحياة كما كانت... أتنتظرين مني أن أكون سعيدًا وممتلئًا بالحب والشغف؟

عقلي :وأنا... هل تنتظرين مني أيضًا أن ألملم نفسي بعد شتاتي؟
أنا :لا أنتظر شيئًا سوى الراحة لجسدي المُنهك... أريد فرصة للعيش، لعلّنا نحيا من جديد.

قلبي :أعتذر... لكنني ذبلت، ولم أعد أصلح للحياة.

أنا :لعل القادم يعيد البهجة إليك. إنّ رحمة الله وسعت كل شيء، ولن يتركنا في أزمتنا هذه. سنخرج من هذا الكابوس إلى حياةٍ تناسبنا.

عقلي :وهل أنتِ واثقة أنك ستبقين على قيد الحياة وسط كل هذا الموت؟

أنتِ تعيشين داخل عَدّادٍ من الموتى... وما عليكِ سوى انتظار موعدك. وها أنا مستعدّ.

قلبي :وأنا أقول لكِ إنني قد دُفنت مع الذين أحببتهم ورحلوا... لأنني لم أطق الحياة بدونهم.

لقد متُّ منذ زمن... قبل أواني.

(وهنا انقطع الكلام... وبقيتُ فارغة، بلا قلب، وبدون عقل. لم يبقَ سوى جسدٍ متعبٍ يتخبّط في هذه الحياة لوحده) .

هذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

سارة محمد

دعني أبدأ... ومن أين أبدأ؟

هل أبدأ من طفولتي، عندما أخبروني عن قصص رسول الله محمد ﷺ، وعن فضله على هذه الأمة بأكملها؟ منذ طفولتي تعلّقتُ برسول الله ﷺ، وكنت أقرأ قصصه في زمن النبوة. وعندما بدأ الوحي بالرؤيا الصادقة؛ إذ إنه ﷺ لم يرَ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتعبّد فيه. ثم ظهرت بشائر الصبح وطلائع السعادة، وآن أوان البعثة، فتمّ أعظم لقاء في حياة البشرية بأكملها؛ نعم، إنه لقاء جبريل عليه السلام بحبيبي رسول الله ﷺ.

هنا بدأت رحلتي مع قصة الرسول ﷺ؛ فبدأت أقرأ عنه، وعن بعثته إلى قريش وإلى الأمة الإسلامية، وكل شيء حدث في زمن النبوة. بدأتُ أغوص في كل قصة من قصصه وأتعمّق... نعم، لقد كنت صغيرة آنذاك، وبدأت شيئًا فشيئًا أتعلّق برسول الله ﷺ. وقرأت سيرته، وعرفت أولاده وبناته، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

---

[1] سارة محمد، كاتبة موريتانية صاعدة وطالبة في المرحلة الثانوية، تؤمن بقوة الكلمة وتسعى لترك بصمة في عالم الأدب. صدر لها عن دار بسمة كتاب بعض الأحلام.

فبدأتُ بالصلاة عليه والسلام، وعرفتُ أنها الوسيلة التي أتوسّل بها إلى الله أن يرزقني رؤيته في المنام، وأن أبلّغه مني السلام والحب. عساني أراه في منامي... كنت ملازمةً للصلاة عليه والسلام؛ أصلّي عليه ليلًا ونهارًا.

ولا أنسى أنني في تلك الفترة من سنة 2021 كان لدي كتاب «دلائل الخيرات»، وهو كتاب مشهور يتمحور كلّه حول الصلاة على رسول الله ﷺ؛ ففي كل يومٍ وِردٌ من الصلاة على النبي ﷺ. فكنت كل صباح آخذ الكتاب، وأقرأ وأدعو الله أن يرزقني رؤية حبيبي وشفيعي محمد ﷺ، وأن يبشّرني برفقته في الجنة.

وشاء الله أن يتحقق لي مرادي. واللهِ لا يمكنني وصف فرحتي... لازلت إلى الآن سعيدة ومسرورة بذلك الحلم، وأدعو الله أن يتكرر لي مرة أخرى. وكان الحلم كالتالي:

في تلك الليلة المباركة، إذا بي أمشي في شارع كبير، ولم يكن غريبًا عليّ؛ إنه شارعنا الذي أسكن فيه. كنتُ ذاهبة أمشي، وبقرب الشارع مسجد كبير. التفتُّ فإذا بذلك الرجل طويل القامة، حسن المظهر، يضيء الأرض كلها وهو واقف؛ كأن العالم كل ما فيه من أضواء ومصابيح أنارت ذلك الشارع بفضل حبيبي وشفيعي وخاتم الأنبياء ﷺ. بنوره أنار لنا ذلك الحي بأكمله، فعمّ نور وجهه أرجاء المكان، فأصبح كل شيء واضحًا مستنيرًا.

كان لون بشرته أصفر، وكان يرتدي الزي الموريتاني (دراعة زرقاء)، ووجهه كالقمر، وشعر رأسه أسود؛ لم يكن طويلًا ولا قصيرًا، بل متوسطًا، ولونه أسود كالليل لم يُرَ فيه ضوءٌ ولا قمر. وكانت مرسومة على وجهه ابتسامة عريضة تكفيك قرونًا لتعيش على ذكراه بسعادة. كانت عيناه جميلتين، أكحلَ العينين.

وكان يقف بقربه شاب صغير يرتدي (دراعة بيضاء)، ولم أتذكر ملامح وجهه. عندما رآني قادمةً، تقدّم إليّ ووضع جناحه على كتفي، وسار بي في الطريق. كنت أمشي وبقربي حبيبي وشفيعي ورسولي ﷺ. قطعنا مسافة من الطريق ونحن نمشي، فإذا بتلك المرأة تنادي وتقول: «مَن ذا الذي يمشي بقربكِ؟» فأردّ عليها بسرعة: «إنه رسول الله ﷺ». وهنا اكتشفتُ أنني أسير مع الرسول ﷺ!

يا الله... هل هذا حلم؟ نعم، إنه كذلك، ولكنه من أجمل الأحلام وأفضلها وأحسنها. وهنا انتهى الحلم عندما اكتشفتُ أنني أسير مع رسول الله ﷺ... ويا ليتَه لم ينتهِ! لم أكمل حديثي مع رسول الله ﷺ، ولم أرد أن ينتهي الحلم الذي كنت أتمنّاه وأنتظره بفارغ الصبر.

وحقّق الله لي مبتغاي، ويا ربّ... كما رزقتني رؤيته في المنام، ارزقني شفاعته يوم القيامة.

اللهم صلِّ وسلم على السراج المنير...

كلُّ المدائحِ والمَحامدِ تبتغي
شرفَ الوقوفِ على جنابِ المصطفى

صلّى عليكَ اللهُ يا علمَ الهدى
وعلى الصحابِ ومن أطاعك واقتفى

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد ﷺ

لك الأشواقُ تصحو لا تنامُ...
لك الوجدانُ رنّمهُ الكلامُ...
صلاةُ اللهِ ما لهجت شفاهٌ...
وما صام العبادُ هنا وقاموا...

اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد ﷺ

يا ليتني كنتُ فردًا من صحابتهِ أو خادمًا عنده من أصغر الخدمِ
تجودُ بالدمع عيني حين أذكرهُ أما الفؤادُ فللحوضِ العظيمِ ظَمِي

اللهم صلِّ على قُرّة أعيننا محمد، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، وارزقنا شفاعته، وأحينا على سنته، وتوفّنا على ملته...

كتاب: أركان النور - في أهمية العلم والذكر والتواضع[1]

أ. عبده محرم أحمد دبوان

الصفحات 1-5: المقدمة - رحلة إلى جوهر الإنسان

البداية من القلب

في صمت الليل، حين يخلو الإنسان إلى نفسه، وتهدأ ضجة العالم الخارجي، تبدأ الأسئلة الحقيقية في الظهور: من أنا؟ لماذا أنا هنا؟ وما الغاية من هذا الوجود؟

إنها أسئلة قديمة جديدة، حملها الإنسان منذ وعى ذاته، وستبقى معه ما دام فيه نبض قلب. ولكن بين أيدينا ثلاثة مفاتيح قد لا تجيب عن كل الأسئلة، ولكنها تضيء الطريق نحو الإجابات.

العلم - نور العقل الذي يبدد ظلام الجهل.

---

[1] أ. عبده محرم أحمد دبوان، كاتب سعودي، صدر له عن دار بسمة كتاب بعنوان: رحلة المعرفة لا تنتهي من المهد إلى اللحد.

الذكر - غذاء الروح الذي يحيي القلب الميت.

التواضع - أرضية الوقوف التي تمنع السقوط.

هذه الثلاثية ليست مجرد فضائل نتمناها، بل هي أركان أساسية لبناء إنسان متوازن، ومسافر واعٍ في رحلة الحياة.

الصفحات 6-10: العلم - شمعة في ظلام الوجود

الفصل الأول: في معنى العلم الحقيقي

ليس العلم مجرد معلومات تُختزن في الذاكرة، كما تُختزن البضائع في المستودعات. إنه تحول، وحركة، ونمو. العلم الحقيقي هو الذي ينير الطريق، لا الذي يثقل الكتفين.

قال حكيم قديم: "العلم نور، والجهل ظلام"، ولكن كم من عالم يحمل شهادة عالية وهو في ظلمة جهل مركب؟ إنه يجهل أنه جاهل، وهذه أشد أنواع الظلام.

العلم بين الحق والباطل

العلم بحر واسع، ولكل بحر لآلئ وأمواج، وقروش وحيتان. فالعلم الذي لا يربطك بخالقك، والذي لا يجعلك أكثر رحمة بإخوانك من البشر، بل بالكون كله، قد يكون جهلاً مقنعاً.

العلم الحقيقي يبدأ بتعرف الإنسان على ربه، ثم على نفسه، ثم على الكون من حوله. أي خلل في هذه السلسلة يجعل العلم ناقصاً، مشوهاً، بل وقد يكون خطراً.

الصفحات 11-15: أنواع العلوم ومراتبها

علوم القلوب وعلوم الأجساد

إن أعلى العلوم مرتبة هو العلم بالله، لأن به تستقيم كل العلوم الأخرى. إنه القطب الذي تدور حوله الرحى. ثم يأتي العلم بالنفس الإنسانية: أسرارها، أمراضها، طرق شفائها. ثم تأتي علوم الكون والحياة.

كم من عالم في الفيزياء أو الكيمياء يجهل تماماً كيف يعيش بسلام مع زوجته؟ كم من حاصل على الدكتوراه في الهندسة لا يستطيع أن يهندس علاقته مع أبنائه؟ هذا العلم الجزئي قد يكون ضرورياً، ولكنه ليس كافياً.

العلم سلاح ذو حدين

العلم كالنار، تدفئك إن أحسنت استخدامها، وتحرقك إن أسيء. كم من اكتشاف علمي بدأ كبذرة خير، وانتهى كأداة دمار؟ السر ليس في العلم نفسه، بل في يدي الذي يحمله، وفي القلب الذي يوجهه.

لهذا لا ينفصل العلم عن الأخلاق، ولا عن الغاية الإنسانية السامية. العلم بلا ضمير خراب للروح، كما قال الفيلسوف.

الصفحات 16-20: الذكر - نهر الحياة الروحية

الفصل الثاني: معنى الذكر و أبعاده

الذكر ليس مجرد كلمات ترددها الشفاه، بل هو حالة من الوعي والانتباه والحضور. إنه أن تتذكر من أنت، ولماذا أنت هنا، وإلى أين المصير.

الذاكر الحقيقي هو من يرى يد الله في كل شيء، ويسمع صدى الحكمة في كل حدث، ويشعر بالرحمة في كل موقف. ذاكرته ليست لله فقط، بل للحق، للجمال، للخير، للإنسانية.

درجات الذكر

1. ذكر اللسان: وهو البداية، كالمتعلم الذي يقرأ الحروف قبل أن يفهم المعاني.

2. ذكر القلب: وهو المرحلة الأعمق، حين يصبح الوجود كله تسبيحاً صامتاً.

3. ذكر الجوارح: وهو الذكر العملي، حيث تصبح كل حركة عبادة، وكل عمل صدقة.

قال تعالى: "فاذكروني أذكركم"، ولكن كيف نذكره؟ أليس بكل لحظة نعيشها في وعي؟ أليس بكل نعمة نقابلها بالشكر؟ أليس بكل محنة نقابلها بالصبر؟

الصفحات 21-25: الذكر في الحياة اليومية

الذكر وسط الضجيج

أصعب أنواع الذكر هو الذكر في السوق، في العمل، في زحمة الحياة. ليس المطلوب أن تنعزل في صومعة، بل أن تحول صومعتك إلى قلبك، حيثما كنت.

المسافر في قطار الحياة السريع، إن لم يكن واعياً، قد يصل إلى المحطة الأخيرة وهو لم يشاهد المناظر في الطريق، ولم يعش اللحظات، ولم يتذوق الرحلة.

الذكر هو أن تعيش اللحظة بكامل وعيك، أن تكون حاضراً في كل ما تفعله، أن ترى الجمال في البسيط، والمعنى في العادي.

الذكر شفاء

كم من أمراض نفسية يعاني منها الإنسان المعاصر؟ القلق، الاكتئاب، الخوف من المستقبل، الحسرة على الماضي. والذكر دواء ناجع لكل هذه العلل.

عندما تتذكر أنك لست وحدك في هذا الكون، أن هناك حكمة وراء كل شيء، أن الرحمة أوسع مما تتخيل، فإن قلوبنا تهدأ، وترتاح، وتستريح.

الصفحات 26-30: التواضع - فن السير على الأرض

الفصل الثالث: حقيقة التواضع

التواضع ليس أن تنظر إلى نفسك نظرة احتقار، ولا أن تتصنع الخضوع. التواضع الحقيقي هو أن ترى الحقائق كما هي. أن تعرف حجمك الحقيقي في هذا الكون الفسيح.

المتواضع ليس ضعيفاً، بل هو قوي بما يكفي ليعترف أنه لا يعرف كل شيء، وأنه قد يخطئ، وأنه بحاجة إلى الآخرين.

التواضع والحكمة

كلما ازداد الإنسان علماً، ازداد تواضعاً، لأنه يدرك كم لا يعرف. أما الجاهل فيظن أنه يعلم كل شيء، فيتعالى ويتكبر.

الحكيم كالشجرة المثمرة، كلما ازدادت ثماراً، انحنت أغصانها نحو الأرض. أما الشجرة اليابسة فتقف شامخة، صلبة، ولكنها ميتة من الداخل.

الصفحات 31-35: التواضع في العلاقات الإنسانية

كيف نتعلم التواضع؟

1. بالاستماع أكثر من الكلام: فكل إنسان لديه شيء يعلمه ولا تعلمه أنت.

2. بالاعتراف بالخطأ: فليس العيب أن نخطئ، بل العيب أن نصر على الخطأ.

3. بخدمة الآخرين: وخاصة من لا ننتظر منهم مقابلاً.

4. برؤية الفضل في كل من نلتقي: فكل إنسان مرآة نرى فيها جزءاً من أنفسنا.

التواضع ليس ذلاً

هناك فرق كبير بين التواضع والذل. التواضع اختياري، ينبع من القوة الداخلية. أما الذل فقسرٍ، ينبع من الضعف. المتواضع يخفض جناحه للمؤمنين طواعية، أما الذليل فيزحف أمام الطغاة كرهاً.

الصفحات 36-40: الخاتمة - الثلاثية المقدسة

كيف تتكامل هذه الأركان؟

1. العلم بدون ذكر ← قد يصير غروراً وجموداً

2. الذكر بدون علم ← قد يصير وهماً وخرافة

3. العلم والذكر بدون تواضع ← قد يصيران تكبراً واستعلاء

لكن عندما تجتمع الثلاثة:

· العلم ينير الطريق

· الذكر يحرك القلب في هذا الطريق

· التواضع يمنع الانحراف والانزلاق

دعوة للبدء

لا تنتظر أن تكون عالماً كبيراً لتبدأ. ابدأ بالخطوة الأولى:

· تعلم شيئاً مفيداً كل يوم، ولو كان بسيطاً

· اذكر نفسك بالغاية من وجودك في لحظات الصمت

· تواضع لكل من تلقاه، فكل إنسان معلم محتمل

في النهاية، هذه الرحلة ليست للوصول إلى كمال مستحيل، بل هي للسير المستمر. فالعلم بحر لا ساحل له، والذكر نهر لا ينضب، والتواضع أرض لا تمل من حمل السائرين.

كن كالشمس تعلم فتشرق، تذكر فتدفئ، تتواضع فتشرق للجميع دون تمييز.

كن كالنهر يتعلم من الجبال والصخور فيشق طريقه، يذكر البحر فيجري إليه، يتواضع فيسير في أخفض الأماكن.

كن كالشجرة تتعلم من الأرض والسماء فتنمو، تذكر الخالق فتُثمر، تتواضع فتنحني بثمارها للآخرين.

مِن تجلِّياتِ الحُبِّ... مِنْ وَحيِ المحبَّة[1]

علي بن عبد الرحيم حمد

المَرءُ كَثِيرٌ بأحبابِهِ، غَنِيٌّ بِإِخْوانِهِ، سَعِيدٌ بِرِفَاقِهِ، مُعَانٌ بأصحابِهِ، مَحظوظٌ بأصدقائِهِ...، هُمْ عُدَّةٌ في الطَّرِيقِ، وذَخِيرةٌ في الشِّدَّةِ، وَزِينَةٌ في الرَّخاءِ، وجَنَّةٌ حينَ اللِّقاءِ...، هُم بَهجَةٌ عِندَ المَسَرَّاتِ، باجتِمَاعِهِم تَتَضَاعَفُ الأفراحُ، وتَتَلاشَى الأحزانُ...، العَبدُ في حَياتِهِ الدُّنيا في جَنَّةٍ عِندَمَا يَخلُو بِرَبِّهِ -جَلَّ في عُلاهُ-، وَعِندَمَا يَلتقِي أحبابَهُ وإِخْوَانَهُ، أَعِزَّاءَهُ وخِلَّانَهُ...

كَمْ تنتعِشُ رُوحُ المُحِبِّ وتَقَرُّ عَينُهُ بِرؤيةِ مَحبوبِهِ، وَعِندَ لِقَائِهِ تَسرِي فِيهِ الحَياةُ بِحَيَوِيَّةٍ وانتعاشٍ!...، تَزدادُ خَفَقَاتُ قَلبِهِ النَّابضةُ بِحُبِّهِ عِندَمَا يَلْمَحُهُ، حتَّى يَصِلَ إليهِ ويعانِقَهُ؛ فتهدأ نفسُهُ، وتَطِيبَ رُوحُهُ، وَتُشْرِقَ على قَسَمَاتِ وَجْهِهِ بَسْمَتُهُ...، فَإِذَا دَخَلْتَ قلبَهُ؛ وَجَدْتَ السَّعادةَ مُنتشِرةً في وَطَنِ قلبِهِ، وَسَمِعْتَ أَلحَانًا تُنْشِدُ بِلَحْنِ حُبِّهِ، وَلَعَلَّكَ لَمَحْتَ تِلكَ الرَّايةَ العالِيَةَ في قَصْرِ مَحَبَّتِهِ، تُرَفْرِفُ بِقُوَّةٍ وابتهاجٍ، مكتوبًا عَلَيْهَا: (أُحِبُّهُ ويُحِبُّنِي)؛ فَكَمْ تَطِيبُ حَياةُ المُحِبِّ

---

[1] علي بن عبد الرحيم حمد، كاتب فلسطيني

بِلقاءِ محبوبِهِ، وكَمْ تُحْيِي مشاعرَ جميلةً فيهِ...؛ فما أحلى حَياةَ المُحِبّينَ!

كَمْ تَنْشَطُ نفسُهُ عندما يَلْمَحُ أخاهُ العزيزَ الحَبيبَ ويُبصِرُهُ، بِمُجَرَّدِ أنْ يَرَاهُ تَتَزَيَّنُ ثناياهُ وتَضحَكُ، وَتُنِيرُ الابتسامَةُ في وَجْهِهِ ويَفْرَحُ...، كَأَنَّمَا ضَحِكَتِ الدُّنيا في وَجْهِهِ! فَهُوَ في سُرُورٍ عَظِيمٍ عَجِيبٍ!!..

تَتَوارَى أسنانُهُ البَيضَاءُ خَجَلًا مِنْ لقائِهِ، مِنْ فَرطِ حيائِهَا وسعادَتِهَا بِحُضورِ مَحبُوبِهَا...، أمَّا عَنْ رُوحِهِ فَكأَنَّهَا تُنازِعُهُ؛ تَوَدُّ لو طَارَتْ إِلَيْهِ؛ لِتَضُمَّهُ مُعَانِقَةً، قبلَ أَنْ تَتَصَافَحَ الأبدانُ وتَتَلامَسَ، قبلَ أَنْ تَتَعَانَقَ الصُّدورُ وَتَتَلاحَمَ...

ما أَجْمَلَ اللِّقَاءَ وأَزْكَاهُ!، ما أَعْذَبَهُ وأَنْدَاهُ!...، ما أَبْهَجَ المُحِبَّ سَاعةَ يرى أَعَزَّ الرِّفاقِ! بَعدَ طُولِ الحَنينِ والأشواقِ...، كَأَنَّ الدُّنيا لَمْ تَسَعْهُ مِنَ الفَرحَةِ!... قَدِ امتلأَ عليهِ قَلبُهُ سَعَادَةً وَغَمَرَتْهُ البَشَائِرُ وَالمَسَرَّاتُ؛ فَمَنْ مِثلُهُ؟! وَمَنْ يَعلُوهُ فَرحَةً؟!...

تَعْلُوهُ نَضَارَةٌ سِحْرِيَّةٌ عَجِيبَةٌ، وتَكْسُوهُ حِليةً مِنَ السَّعادةِ والسُّرورِ جَمِيلَةً، يَلْحَظُهَا عَليهِ كُلُّ مَنْ يرى سَمْتَهُ ويتأَمَّلُ عَيْنَيْهِ؛ مِنْ أينَ لَكَ هذا النُّورُ والإِشْراقُ؟!... ماذا حَصَلَ؟! ماذا جَرَى؟! كَأَنَّمَا أنهارُ الفَرحةِ مِنْ قلبِهِ تَتَفَجَّرُ، وَمِنْ عَظِيمِ فَيضِهَا؛ انْسَكَبَتْ على وَجْهِهِ؛ فَأَنَارَ وأضاءَ!... يَسْأَلُهُ النَّاظِرُونَ: ما هذا البَهاءُ أيُّها السَّعيدُ؟! ما أَجْمَلَ السَّناءَ والضِّياءَ في وَجْهِكَ الكَرِيمِ!...، فلا يدري ذَلِكُمُ المُحِبُّ

كيفَ يُخَبِّئُ شَلَّالاتِ سَعَادتِهِ وَبِحَارَ سُرورِهِ مِنَ أَعيُنِ النَّاسِ!... لقد غَمَرَهُ الحَيَاءُ!؛ نَعَم، لقد جَاءَ حَبِيبُ عَينِهِ، وساكِنُ قَلبِهِ، وأَنِيسُ رُوحِهِ، ونَبضُ نَفسِهِ...، حَبِيبُهُ وخَليلُهُ، عَزِيزُهُ وصَدِيقُهُ، صَاحِبُهُ ورَفِيقُهُ، هُوَ كُلُّ الصِّفاتِ!...، هُوَ كُلُّ الألقابِ!...، هُوَ كُلُّ شَيءٍ بالنِّسبَةِ إليهِ...

هُوَ أَحَبُّ مَنْ تُحِبُّ العينُ رُؤيتَهُ، وأَشْهَى مَنْ تَشْتَهِي النَّفسُ مُحادَثَتَهُ، يعيشُ بِوَصْلِهِ أحلَى مَذَاقٍ، وَلَهُوَ عِندَهُ أزكَى وأطيبُ مِنْ أَشهَى طَعَامٍ!...، يَستَشْعِرُ بِقُرْبِهِ أعذبَ شُعُورٍ وَأَلَذَّ إحساسٍ، المُحِبُّ لا يَمَلُّ مِنْ مَحبوبِهِ، تِلكَ علامَةُ صِدقِ المحبَّةِ ورُسُوخِ المَودَّةِ!؛ فَهَلْ تَشْعُرُ بذلِكَ مَعَ مُحِبِّكَ؟!...

إنَّ الإنسانَ إذَا أَحَبَّ أَحَدًا، وتآلفَتْ مَعَهُ رُوحُهُ؛ أَسْكَنَهُ قَلبَهُ، وَأَصبَحَ صَدرُهُ مَيدانِ خَفَقَاتِهِ، وصارَتْ حالُهُ أَهَمَّ أخبارِهِ، يُحِبُّ لَهُ أكثرَ مِمَّا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، تَلقَاهُ يَبذُلُ فِيهِ ما لا يُبْذَلُ!، ولعلَّهُ يُضَحِّي بِنَفْسِهِ مِنْ أجلِهِ!، فَهُوَ جِدًّا يُحِبُّهُ ويَفْدِيهِ، يُؤثِرُهُ ويَنْصَحُهُ، يَشْغَلُ بَالَهُ، يُفَكِّرُ بِإِسْعَادِهِ، يدعُو لَهُ بِلِسانِهِ بِمِلْءِ قَلبِهِ، لا يَنْسَاهُ مِنَ الخَيرِ، يفرَحُ لِفَرَحِهِ، يبكي لِحُزْنِهِ، يَتَوَجَّعُ لألمِهِ، يَشُدُّهُ وَيُؤازِرُهُ، يُعِينُهُ ويُوَافِقُهُ، يستأنِسُ بِقُربِهِ، يتمنَّى مُحادَثَتَهُ، يرجُو وِصَالَهُ، يَستوحِشُ بِبُعْدِهِ، يتأوَّهُ لِمُفَارَقَتِهِ، كُلُّ خلاياهُ تُنادِي بِحُبِّهِ، إنْ حَضَرَ؛ فَكُلُّهُ لَهُ، وَإِنْ غابَ عَنهُ؛ فَمَا أسرعَ شَوقَهُ إليهِ، يَقْصِدُهُ دائمًا، مُلَبِّيًا مُسعِدًا

وخَادِمًا مُطِيعًا، فَإِنْ تَاهَ؛ تَرَاهُ يُوصِي مُحِبَّهُ قَائِلًا: إِنْ ضَلَّ قَلبِي؛ فَقَلبِي أنتَ تَعْرِفُهُ!...

يَتَصَنَّعُ المُحِبُّ أَيَّ سَبَبٍ لِيَرَى مَحبُوبَهُ، يَتَوَدَّدُ إليهِ، يَعْرِضُ عَليهِ خَدَماتِهِ، يُكثِرُ مِنْ كَلِمَاتِهِ، يَقْتَفِي آثارَهُ، يَتَمَشَّى في الطُّرُقَاتِ؛ لعَلَّ اللَّطيفَ الوَدودَ بِهِ يَجْمَعُهُ ويَجْبُرُهُ...؛ فَكَمْ يَتَمَتَّعُ بِرُؤيتِهِ، ويَسْعَدُ بِمُحَادَثَتِهِ...، فَإِذَا قابَلَ المُحِبُّ المُشتاقُ مَحبوبَهُ المَطلوبَ المَعزوزَ وَرَآهُ؛ فكأنَّمَا انفَكَّ حِصارُ الحَنينِ عَنْ قَلبِهِ، وَصُرِفَتْ بَراكِينُ الشَّوقِ المُلْتَهِبَةُ عَنْ رُوحِهِ...، يتمنَّى مُقابلتَهُ ليلًا ليسَ في النَّهارِ!؛ لِتُشْرِقَ أنوارُ السَّعادَةِ في ليلِهِ؛ فَيَحْلُو لَيلُ المُحِبِّينَ بِوَصْلِهِم وَدُنُوِّهِم...

كأنَّمَا يفتَحُ صُندُوقًا مِنَ الهدايا المُدْهِشَةِ والمُفاجآتِ المُتْحِفَةِ؛ مِنْ رَوعَةِ قُربِهِ مِنْ مَحبوبِهِ، وَمِنْ شِدَّةِ ابتهاجِهِ بِهِ! فَقَدْ صَارَ كَوْنُهُ عِندَ حُلُولِهِ مُدْهِشًا، قَدْ قَرَّتْ عَينُهُ بِهِ؛ فكيفَ للأحزانِ والهُمُومِ أنْ تَحِلَّ بِوُجُودِهِ؟!...، كيفَ للسَّعادَةِ والأفراحِ أَنْ تُفارِقَهُ بِحُضُورِهِ؟!...، وَتَاللهِ إنَّ ما فيهِ مِنْ آلامٍ سَابِقَةٍ، وأحزانٍ مَاضِيَةٍ، وضُغوطٍ دُنيويَّةٍ خَانِقَةٍ لَتَتَلَاشَى بِلَحْظَةِ حُلُولِهِ!... كَأَنَّهُ العِيدُ والسَّاعاتُ أَفْرَاحٌ!...؛ فَمَا أَسْعَدَهُ!...، كأنَّ خلاياه تتنفس هواء البهجة والسرور...

ها قد دَنَا الحَبِيبُ القَرِيبُ، قَد حَلَّ العَزِيزُ الخَلِيلُ...، وَكُنَّا حِينَ نَلمَحُهُمْ نَطِيبُ، وهُمُومُنَا تَرْحَلُ وتَغِيبُ، وأَفْرَاحُنَا تَحْضُرُ وتَجِيءُ،

وكَمْ يُشفَى المُحِبُّ بِرُؤيَةِ حَبِيبِهِ، وَكَمْ تُذْهِبُ تِلكَ النَّظْرَةُ آلامًا تَسْكُنُ فِيهِ... 🥹 ؛ وَمَنْ لِلمُحِبِّ إِذَا غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ؟! مَنْ لَهُ؟!...

مَنْ لَمْ يَشْعُرْ بِجَنَّةٍ مع مَحبُوبِهِ؛ فَلْيَتَّهِمْ مَحَبَّتَهُ!؛ فَإِنَّ المُتَحَابِّينَ بِقُلُوبِهِم وأَرْوَاحِهِم، الصَّادِقِينَ بِحُبِّهِم وَمَشَاعِرِهِم؛ أَسْعَدُ النَّاسِ أَحْوَالًا، سِيَّمَا مَنْ تآلَفَتْ أَرْوَاحُهُم وَتَشَابَهَتْ، فَبَلَغَتْ مَحَبَّتُهُمْ دَرَجةً مِنَ الحُبِّ عَمِيقَةً، وَنَزَلَتْ مُوَدَّتُهُم فِي أَفْئِدَتِهِم مَنْزِلَةً كَرِيمَةً...

وَلَئِنِ اجتَمَعَتِ الدُّنيا بِمَا فِيهَا مِنْ أَفراحٍ وَمَسَرَّاتٍ عَلَى أَنْ تُسْعِدَهُ وَتُثْمِرَ لَهُ شَيئًا مِنْ فَرْحَةٍ لِقَائِهِ بِمَحْبُوبِهِ ما اسْتَطَاعَتْ!...، لا طَعْمَ يُشْبِهُ مَذَاقَ لِقَاءِ الحَبِيبِ، لا سَعَادَةَ تُضاهِي نَظَرَهُ لِلخَلِيلِ القَرِيبِ، لا سَاعَةَ أزكَى مِنْ لَحظةِ مُقابَلَتِهِ بِأَحْلَى رَفِيقٍ!...؛ كَأَنَّهَا الجَنَّةُ دَخَلَهَا وَهُوَ بَعدُ عَلَى الأرضِ!!...

لا لَيلَ بَينَ المُحِبِّينَ يُظِلُّهُمْ؛ فَشَمْسُ السَّعادَةِ مُشْرِقَةٌ على قُلُوبِهِمَا ما دَامُوا مَوْجُودِينَ مُتَوَاجِدِينَ، لا تُؤذِيهِمُ الشَّمسُ ولا تَحْرِقُهُمْ، بل تَزِيدُهُمْ أنوارًا وَسَنَاءً!...، أَلَا تَرَوْنَ أنوارَ البَهجَةِ مُعَلَّقَةً على مُدُنِ القَلبِ وكافَّةِ الطُّرُقَاتِ؟!...، تِلكَ مَمْلَكَةُ المحبَّةِ حَيوِيَّةٌ مُنْتَعِشَةٌ بِنُزُولِ العَزِيزِ الكَرِيمِ، الوَدودِ الجَمِيلِ في سَاحاتِ القَلبِ...، أَلَمْ تَلمَحْ وَجْهَهُ كيفَ ازدَادَ نَضَارَةً وَبَهَاءً؟!...؛ فَمَا أَجْمَلَهُ!...

فَإِذَا غَرَبَتْ شَمسُ المَحبوبِ مُغَادِرًا؛ غَرَبَتْ مَعَهُ كُلُّ ألوانِ البَهجَةِ والسُّرورِ...، لا النَّبضُ يبقَى نَبضًا، ولا الحياةُ تَحلُو وتَزهُو وتُزْهِرُ

طَعمًا...، لِتَحِلّ بِركَابِهِ أمواجُ الشَّوقِ الضَّارِبَةُ، وتُهاجِمَهُ بَراكِينُ الحَنِينِ الحارَّةُ؛ فكيفَ سيَتَحَمَّلُهَا ذَلِكَ المُحِبُّ المِسكِينُ الضَّعِيفُ؟!...، كَمْ يُحْرِقُ الشَّوقُ قُلُوبَ المُحِبّينَ، كم يُمَزّقُ البُعدُ نُفوسَ المتآخِينَ، حتَّى إنَّ أَفْئِدَتَهُمْ مِنَ الحَنِينِ تَغلِي وتبكِي...

أنَّى لِقَلْبٍ يُشرِقُ؟!؛ إذَا غَابَ عَنهُ مَحبُوبُهُ وفَارَقَهُ...، أنَّى لابتسامَةٍ تُحْيِيهِ وتُنْعِشُهُ؟!؛ إذَا تَرَكَهُ وغَادَرَهُ...، يَظَلُّ ذَلِكَ المُحِبُّ صَامِتًا مُظْلِمًا، قَلِيلًا ضَعِيفًا، مُنْزَوِيًا وَحِيدًا حتَّى يلقاهُ مَحبُوبُهُ مِنْ جَديدٍ!...، فيَضْحَكُ مَعَهُ مِثلَ الأطفالِ، ويُلاعِبُهُ كَمَا الصِّبيانِ الصِّغَارِ، بِطُفولَةِ قَلبٍ، وسَعادةِ رُوحٍ، وبَهْجَةِ نَفْسٍ؛ فما أَحْلاهُم!...

يُمسِي المُحِبُّ غَنِيًّا بِحَضْرَتِهِ، عَزِيزًا بِسَاحَاتِهِ، مُكْرَمًا بِظِلَالِهِ، كَثِيرًا بِهِ!...؛ فَمَا أَعَزَّهُ وأَكْرَمَهُ!...، أَلَا تَرى أَنَّ جُيُوشَ السَّعادَةِ لَحْظَتَهَا قَدْ أَحَاطَتْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؟!...، فأنَّى لِحُزنٍ يَغتَالُ قلبَهُ؟!...، كيفَ لِتِلكَ الهُمُومِ والغُمومِ أَنْ تَضُرَّ نَفْسَهُ؟!...، وأَمَّا رُوحُهُ فَلَقَدْ طَارَتْ وطَاشَتْ مِنْ سِحْرِ المحبَّةِ؛ فَهِيَ تَسْبَحُ في فَضَاءٍ رَغيدٍ وتَهْنَأُ بِعَيْشٍ هَنِئٍ...؛ فَمَا أَمْتَعَهُ!...

تَتَغَيَّرُ مَعَ المُحِبّ كُلُّ القَوانِينِ الأرضيَّةِ المَعهُودَةِ والمُعادَلاتِ الكَونيَّةِ المَنْشُورَةِ...؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ سَاعَةَ مُقابَلَتِهِ مَحبوبَهُ يُحَدِّثُهُ كَثيرًا، ويَقِفُ مَعَهُ طَوِيلًا؟!...، ربما لساعةٍ وزيادةٍ؛ ثُمَّ إِنَّهُ بَعدَ ذَلكَ كُلِّهِ لا يشعُرُ بِشَيْءٍ!...، لَمْ يَمَلَّ ولم يَتْعَبْ، تَسْأَلُهُ كيفَ تَحَمَّلْتَ ذَلِكَ؟! فيقولُ

لَكَ: أنا لَمْ أَشْعُرْ أَصْلًا!، لَمْ أَنْتَبِهْ إلى الوَقْتِ!، كَأَنَّ الوَقتَ كَانَ يجري بِسُرعَةٍ مَعَهُ؛ فَمَا أسرعَ الزَّمانَ! وَمَا أَعْجَبَ الحَالَ!!...، ثُمَّ إِنَّهُ في قَولِهِ لَصَادِقٌ غَيرُ مُبالِغٍ!، بل يتمنَّى لو أطالَ حَدِيثَهُ أكثرَ!...؛ نَعَم؛ لَقَد غابَتْ عِنْدَهُ الطِّباعُ البَشَرِيَّةُ، والمعاريفُ الدُّنيويَّةُ، لِيَتَعَامَلَ بِرُوحِهِ لا بِبَدَنِهِ!...، كَمْ يَسْحَرُكَ شَأنُ الأرواحِ ويَفْجَؤُكَ، ترى مِنهَا سُلُوكًا لَطِيفًا عَجِيبًا، واكتشافاتٍ مُدْهِشَةً غَرِيبَةً...، تُعْجِبُكَ وتُتْحِفُكَ! مِنْ حياةِ المُحِبّينَ الصَّادِقِينَ...، يَسْتَنْبِطُهَا الأديبُ المُتَأَمِّلُ مِنْ وَحْيِ تَجْرِبَتِهِم، وَمِنْ وَاقِعِ مشاعِرِهِم...؛ عَلَّهُ يُوَفَّقُ لِوَصْفِهَا للنَّاظِرِينَ!...؛ فَمَا أَذْهَلَهُ مِنْ شُعُورٍ!...، ويكأَنَّ لِسَانَ حَالِهِ يَقولُ: حَاشَا لِحُسْنِهِم وعَظيمِ حُبِّهِم أَنْ يُصاغَ بِأَسْطُرٍ... هُمُ الفَصَاحَةُ والجَمالُ واللُّغاتُ جَمِيعُهَا!...

تَرَاهُ في بعضِ أحيانِهِ مَحزُونًا مكروبًا، أو شَاحِبًا كَئِيبًا، عابِسَ الوَجهِ، مُنقَبِضَ النَّفسِ، قَد عَضَّتْهُ الدُّنيا، وَخَدَشَتْ مَشاعِرَهُ الأيامُ، وأصابَهُ النَّكدُ لِسَبَبٍ مَا...؛ فَإِذَا اتَّصَلَ بِهِ محبوبُهُ، ورَأَى اسمَهُ قَدْ أَنارَ شَاشَةَ هاتفِهِ؛ فَإِنَّهُ يَبْتَسِمُ ضَاحِكًا!، فجأةً هكذا وَبِدُونِ أدنى مُقَدِّمَاتٍ!...؛ فَمَا أَعْجَبَكَ أيُّها المُحِبُّ، فَإِذَا كَلَّمَهُ: صَارَ يُغَرِّدُ بِأَشْعَارِ المحبَّةِ وَيَنْشُدُ ألحانَ المَودَّةِ بِضَحِكَاتٍ وَسُرُورٍ!!، كَأَنَّهُ دَواءُ أحزانِهِ، وشِفاءُ غُمُومِهِ وأنكادِهِ...، قَدْ كَانَ قَبْلَهَا بِثَوَانٍ لا يَقْدِرُ أَنْ يَتَبَسَّمَ!، ولا يَشتَهِي أَنْ يَتَكَلَّمَ!، وَيْكَأَنَّ صَدْرَهُ قَد ضَاقَ مِنَ الدُّنيا ونَكدِهَا، قَدْ عَجَزَ عَنْ صناعَةِ فَرْحَةٍ لِنَفْسِهِ تُدَاوِيهِ مِمَّا أَلَمَّ بِهِ...؛ فَمَاذا حَدَثَ فَجأَةً؟!...، هل سَحَرَهُ المُتَّصِلُ وغَيَّرَ حَالَ قَلبِهِ؟! مَاذَا

حَلَّ بِهِ؟! ما شُعُورُهُ السَّاكِنُ فِيهِ؟!...، كَيفَ للحُزنِ والضِّيقِ أَنْ يَبقَى فيهِ إِذَا أَشْرَقَتْ شَمسُ الحبيبِ؟! أَيَا وَجْهًا عَابِسًا ابتَسِمْ واضْحَكْ؛ فَقَدْ أنارَ حَياتَكَ العَزِيزُ القَرِيبُ، فَمَا أَسْعَدَ حَالَكَ! كُلُّ بُؤسٍ فِيكَ وحُزنٍ سَيَرْحَلُ!، كُلُّ وَجَعٍ فِيكَ سَيُشفَى ويَطِيبُ...، لَقَدْ قَلَبَتِ المَحَبَّةُ حَالَهُ وأَنْعَشَتْ حياتَهُ؛ فَصَارَ حَيَوِيًّا نَشِيطًا!...، كَمْ تُذْهِبُ المحبَّةُ مِنْ أَسْقَامٍ، وكَمْ تَشْفِي مِنْ أمراضٍ؛ فَمَا أَحْوَجَنَا إلى الحُبِّ أيُّها النَّاسُ! ونَحنُ نعيشُ في هَذِهِ الدُّنيا المَليئةِ بالمُنَغِّصَاتِ والمتاعِبِ، والمَشَاقِّ والشَّدائِدِ...، مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ المَحَبَّةِ؛ فَقَدْ غَابَ عَنهُ لَونٌ مِنْ ألوانِ النَّعيمِ والمُتعَةِ، والرَّفاهِيَّةِ والرَّاحَةِ ما أَعْذَبَهُ وأَحلاهُ، ما أَجْمَلَهُ وأزكاهُ!...

أمَّا مُتْعَةُ الحَبِيبِ في تَلبيةِ نِدَاءِ مَحبُوبِهِ، فَتِلكَ سَعادتُهُ وفَرْحَتُهُ، يَقُولُ لَهُ إذا طَلَبَ مِنهُ: لَبَّيْكَ يا حَبِيبُ، يا شَقِيقَ الرُّوحِ...، عَذَابُكَ فِيَّ عَذْبُ، وقُرْبُكَ مِنِّي وَصْلٌ، أَنتَ مِنِّي كَنَفْسِي، بَلْ أَنْتَ مِنهَا أَحَبُّ...؛ فَتَقَرُّ عَينُ المَحبوبِ لِجَمَالِ رَدِّهِ، وَصِدْقِ مَوَدَّتِهِ، وَعُمقِ مَحَبَّتِهِ، وسُرعَةِ استجابَتِهِ؛ فَمَا أَكْرَمَهُ على مُحِبِّهِ!...

لَو نَطَقَتْ خَلايا المُحِبِّ لِلمَحْبُوبِ؛ لَقَالَتْ: أحلى حَبِيبٍ، وأَعَزُّ عَزِيزٍ، أَنتَ الطَّرِيقُ، وأنتَ الصَّديقُ، وأنتَ الجِهَاتُ، وكُلُّ النَّظَرِ...، بِكَ أَسْتَغْنِي عَنْ سِوَاكَ مِنَ البَشَرِ...، أنتَ الحَبِيبُ والقريبُ، سَاكِنُ القَلبِ، سَخِيُّ المَوَدَّةِ، حُلوُ الطِّباعِ، عَزِيزُ الفُؤادِ، أنيسُ الرُّوحِ، رَفِيقُ

العُمرِ، أَحلى مِنَ القَمَرِ...، خَيالُكَ في ذِهْنِي، وذِكْرُكَ في فَمِي، ومَثْوَاكَ في قلبي يا حبيبَ نَفْسِي وشقيقَ رُوحِي؛ فَكيفَ تَغِيبُ؟!...

إِذَا غَابَ عَنهُ دَقيقةً؛ اشتَاقَ إِلَيْهِ!، لا يَطمَئِنُّ حتَّى يكونَ بينَ عَيْنَيْهِ!...، لِسَانُ حَالِهِ: أَشْتَاقُهُم إِنْ دَنَوْا مِنِّي، وَإِنْ بَعُدُوا...، وَإِنْ أَقَامُوا، وَإِنْ غَابُوا، وَإِنْ حَضَرُوا...؛ فَمَا أَعْجَبَهُ!...

لَعَلَّكَ لو دَخَلْتَ قلبَهُ لوَجَدْتَ أَعْرَاسًا كبيرةً مِنَ البَهجةِ والسَّعادَةِ تُنْصَبُ وتُقَامُ، وأَلْحَانًا مِنَ السُّرورِ والأفراحِ تُنْشَرُ وتُقَالَ؛ مِنْ أجلِ حُلُولِ حبيبِهِ المَحبوبِ؛ فَمَا أكثَرَ سُرُورَهُ!...، وما أكبَرَ فَرْحَتَهُ!...، كَيفَ يَتَحَمَّلُ القَلبُ هذا القَدرَ مِنَ الفَرَحِ الهائِلِ الكَبيرِ ويَحتَوِيهِ؟! كيفَ يصبِرُ نَبْضُهُ ويَحيَا مَعَ سَيلِ المَشَاعِرِ الجيَّاشَةِ فِيهِ؟!...

لا لحظةَ لِلمُحِبِّ أحلى وأروعُ، وأَسْعَدُ وأبهجُ مِنْ أَنْ يكونَ مَعَ محبوبِهِ، مُتَّصِلًا بِقَلبِهِ، مُعَانِقًا رُوحَهُ، مُصَافِحًا نَفْسَهُ، قريبًا مِنهُ، يَراهُ ويُحَدِّثُهُ، يَضْحَكُ في وَجْهِهِ وَيُفْرِحُهُ، وكُلُّ خَلاياهُ تكتَحِلُ بالنَّظَرِ لِعَيْنَيْهِ الجَمِيلَتَيْنِ!...، كَمْ تَقَرُّ عَينُ المُحِبِّ بِمَحْبُوبِهِ!... فَتَرَاهُ يَعِيشُ أَحلَى لَحَظَاتٍ في حَيَاتِهِ...

إِذَا تَأَمَّلْتَ حياةَ المُحِبِّ والمَحبُوبِ؛ لَوَجَدْتَهُمَا بِحَيَوِيَّةٍ ونَشَاطٍ، وسعادَةٍ وانتعاشٍ على الدَّوامِ، ولا تَعْجَبْ إِذَا بَلَغَكَ أَنَّهُ يستيقِظُ مِنْ نَومِهِ وهو يَضحَكُ!، كَمْ يُمِدُّ الحُبُّ خَلاياهُمْ ومشاعِرَهُمْ بِطَاقَةٍ

سِحْرِيَّةٍ عَجِيبَةٍ!، كَمْ يَدْفَعُ عَنهُم أَمْرَاضًا نَفْسِيَّةً كَئيبَةً؛ فَمَا أَحْوَجَنَا إلى الحُبِّ! وما أدراكَ مَا الحُبُّ!!

إِذَا سَمِعَ ما يُؤلِمُ مَحبوبَهُ ويَجْرَحُهُ؛ فَكَأَنَّما هُوَ المُتَألِّمُ المَجرُوحُ!...، تَرِقُّ مَدَامِعُهُ لألمِهِ، ويَتَوَجَّعُ أضعَافَ وَجَعِهِ، كُلُّ خَلايَاهُ تَدعُو لَهُ ليلًا ونَهارًا، بِخُشُوعٍ وانكسارٍ للعزيزِ الغَفَّارِ...؛ كَمْ يَشْعُرُ بِشُعُورِهِ، ويُحِسُّ بِمَشَاعِرِهِ...، كَيفَ لو أَبْصَرَتْ عَينَاهُ أذًى أَصَابَ مَحبُوبَهُ؟! ماذا سَيَحْدُثُ لَهُ؟!...، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ قَلبَهُ حِينَهَا سَيَنْقَبِضُ مِنَ الوَجَعِ انْقِبَاضًا شَدِيدًا!، سَتَرَاهُ وَتَحْسَبُهُ المُصابَ مِنْ هَولِ ما يَنْزِلُ بِقَلبِهِ ويَسْتَشْعِرُهُ!...؛ نَعَم، لَقَد تَآلفَتِ النُّفُوسُ، وتقارَبَتِ القُلُوبُ، وتَرابطَتِ الأرواحُ، واتَّصَلَتْ حتَّى صَارَتْ رُوحًا وَاحِدَةً في جَسَدَيْنِ، يَعِيشُونَ نَفْسَ المَشَاعِرِ والأحاسِيسِ...؛ فَمَا أَصْدَقَ حُبَّهُم!، وما أَعْمَقَ وُدَّهُم!، ما أَجْمَلَ حَياتَهُم!، ما أروعَ اجتماعَهُم!، وما أعظَمَ تَعَاضُدَهُم!...

بين شهيقٍ لا يكتمل... وزفيرٍ لا يصل[1]

داود ياسمينة

هناك لحظات في العمر لا نعرف فيها إن كنّا نعيش حقًّا، أم أننا نتدرّب على الحياة فقط. يصبح الشهيق محاولة لإنقاذ ما تبقّى منّا، ويغدو الزفير اعترافًا بأن شيئًا داخليا لم يعد على حاله. أتنفّس... نعم، لكن أنفاسي تأتي كنافذة نصف مفتوحة؛ يدخل منها الضوء خائفًا ويخرج منها الألم بلا استئذان.

أشعر أحيانًا أن الحياة تختبر قدرتي على الاحتمال. اختبار صامت يراقبني وأنا أتأرجح بين رغبة في البوح ورغبة أشدّ حدّة في الصمت. قد أبدو متناقضة، لكن من قال إن النفس خُلقت مستقيمة؟ نحن نتشكّل من أسئلة لا تهدأ، ولا نُطالَب بإجابات ثابتة.

أعود إلى داخلي مرارًا، كأنني أبحث في غرفة مظلمة عن شيء لم أره يومًا، لكنني أعرف بعمق غريزي أنه موجود. أفتّش في ذاكرة ترتّب صورها بطريقة مربكة، وأعيد النظر في خطوات قادتني إلى طرق ظننتها خلاصًا، فتحوّلت إلى متاهات لا تؤدي إلا إليّ.

---

[1] داود ياسمينة، كاتبة مغربية.

أدرك أن العمر لا يصنع النضج بقدر ما يصنعه الوجع. الندبات التي نخبّئها تصوغ حجمنا الحقيقي. كل ندبة علّمتني حرفًا من لغة الصبر، وكل سقوط كان درسًا في فنّ الوقوف. ربما لهذا أصبحت أكثر صمتًا؛ ليس لأن الكلام يعجز عن حمل ما في صدري، بل لأن بعض الحكايات لا تُقال إلا لمن يقدر على حملها... ولا أحد يحملنا كما نحمل أنفسنا.

ورغم كل هذا، ما زال داخلي يتشبّث بخيط خفيّ من الأمل. الضوء لا يأتي إلا بعد العتمة، والعتمة نفسها معلّم صبور، يهيئنا لظهوره. الألم يشبه مرآة؛ كلما اقتربت منه رأيت نفسك أوضح، ولو كان الوضوح مؤلمًا.

من الخارج، أبدو ثابتة وقادرة على مواجهة العواصف بلا انحناء، لكن داخلي يحمل هشاشة لا أعرف أين أخفيها. هذا التناقض جزء من حقيقتي؛ أنا قوية لأنني انكسرت، وغامضة لأن اللغة تضيق بما في قلبي.

تعلّمت أن التعافي لا يحدث دفعة واحدة. هو أشبه بنموّ شجرة في أرضٍ قاحلة؛ يحتاج وقتًا وصبرًا ونقطة مطر تأتي حين نكون صادقين مع أنفسنا. وكل ضربة موج أعادتني إلى الشاطئ بوعي أكبر بأن النجاة ليست دائمًا في الهرب من الألم، بل في فهمه.

ورغم أنفاسي المتقطّعة، أراها علامة حياة، لا علامة ضعف. كل شهيق ناقص يهمس لي: ما زلتِ هنا. وكل زفير لا يصل يعِدني بأن الوصول ممكن. نحن لا نُخلق كاملين ولا نُشفى مرة واحدة، لكننا نستمر... وهذه واحدة من معجزات البشر الصغيرة.

المهم ليس أن نتنفس بعمق، بل أن نمنح أنفسنا تلك التنهيدة التي تنقذنا في اللحظة الأخيرة. ربما الحياة -بكل تناقضاتها - ليست إلا محاولة جريئة لفهم ما نستحقه من الضوء، وما نقدر على احتماله من العتمة، دون أن نفقد أنفسنا أثناء الرحلة.

ومع الوقت، بدأت أفهم أنني لا أبحث عن حياة مثالية، بل عن ذلك السلام الصغير المختبئ بين سطور الأيام؛ عن لحظة صدق تلمس روحي دون أن تجرحها، وعن دفء يشبه يدًا تربّت على كتفي حين ظننت أنني وحدي. كل ما نحتاجه أحيانًا ليس (معجزة) ... بل لمسة إنسانية تُخفّف الطريق.

لم أعد قوية، ولا هشّة أبدًا. أنا بينهما؛ أتأرجح كما يتأرجح غصن شجرة في الريح، لا ينكسر ولا يكفّ عن الارتجاف. وهذا الارتجاف ذاته هو دليل الحياة في داخلي؛ دليل أن قلبي ما زال قادرًا على الدهشة والتعلّم، لا ظلًّا يمرّ بين الناس بلا أثر.

تعلّمت أيضًا أن أحبّ المساحات المظلمة في داخلي؛ فهي التي كوّنتني ومنحتني القدرة على الفهم. الضوء بلا ظلٍّ يصير سطحيًّا،

والحقيقة بلا ألم تبقى ناقصة. كل ما حاولت الهروب منه كان ينتظرني لا لأخافه، بل لأفهمه.

اليوم، حين أضع يدي على صدري وأشعر بأنفاسي - وإن كانت متقطّعة - أعرف أنني لم أعد كما كنت. صرت أعمق وأصدق وأكثر قدرة على رؤية الحياة كما هي: قاسية وجميلة وممتلئة بمعجزاتها الصغيرة.

لم أعد أبحث عمّن يفهمني، بل عمّن يشعر بي. ولم أعد أركض خلف الأشياء؛ ما ذهب يذهب، وما بقي يكفيني، وما كُتب لي سيصل ولو تأخّر.

وبين شهيقٍ ناقص وزفيرٍ لا يصل... ما زلت أمشي. كأن روحي تعرف الطريق، حتى لو بدت بدايته مظلمة.

نَغَمٌ فِي حَيَاتِي[1]

بَغْدَادُ فِي سَنَةِ 1970م

جمال شمس الدين

عِشْتُ سِنِينَ طَوِيلَةً، فَلَمْ أَنْسَ حَبِيبَتِي الَّتِي عَاشَتْ مَعِي السِّنِينَ بِحُلْوِهَا وَمُرِّهَا، فَأَصْبَحَتْ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ حَيَاتِي، وَعَلَى مَدَارِ السِّنِينَ الطَّوِيلَةِ كَانَتْ هِيَ نَغَمَ حُبِّي الشَّاغِلَ بِحَيَاتِي.

الْيَوْمُ غَادَرَتْ حَيَاتِي، وَقَالَتْ لِي: إِلَيْكَ عُنِّيَ يَا رَجُلَ السِّنِينَ الطَّوِيلَةِ، ثُمَّ غَادَرَتْ وَغَابَتْ وَلَمْ تَلْتَفِتْ لِمَا كَانَ حَوْلَنَا مِنْ حَيَاةٍ عَامِرَةٍ بِحُبِّ السِّنِينَ الرَّحِيبَةِ.

كُنْتُ هَائِجًا كَطُوفَانِ الْبَحْرِ الْعَاصِي الْغَاضِبِ مِنَ الْعَوَاصِفِ الَّتِي كَانَتْ تُصَارِعُهُ، وَكَانَتْ أَيَّامِي سَوْدَاءَ مُتَلَاطِمَةً كَأَمْوَاجِهِ، فِي مَعْرَكَةٍ شَدِيدَةٍ ضَارِيَةٍ.

---

[1] جمال شمس الدين، عاشق الضاد، باحث لغوي ومؤلف قصصي سعودي، له عدة أبحاث محكَّمَة دوليًا، ومجموعة من المؤلفات الأدبية، منطقة جازان– محافظة صامطة.
Dr.jamal2@hotmail.com

بَعْدَ أَيَامٍ عَدِيْدَةٍ مَرَّتْ مِنْ بَعْدِ عَوَاصِفِ الْعَوَاطِفِ، سَكَنَتْ ثَوْرَتِي، وَعَادَتْ نَبَضَاتُ الْحَيَاةِ لِقَلْبِي لِيَسْتَكِينَ، وَتُرْشِدَنِي قَائِلَةً: اتْرُكْ عَنْكَ مَنْ سَارَ وَرَحَلَ لِلزَّمَنِ، فَالزَّمَنُ خَيْرُ مُعَلِّمٍ.

فَلَمْ أَكْتَرِثْ بِمَا كُنْتُ فِيهِ يَوْمًا، وَانْتَهَتْ حَيْرَتِي مِنْ شَغَبِ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ الْمُضَلِّلَةِ الَّتِي وَضَعَتْهَا السِّنُونَ فِي غَيْرِ مَكَانِهَا، كَمْ كَانَ جُمُوْحُ خَيَالِي بِحُبِّهَا العَظِيمِ

قَدْ عَانَقَ أَطْرَافَ السَّمَاءِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَصِلَ لِضَوْءِ القَمَرِ، وَبَعْدَ مَوْقِفِهَا أَصْبَحَ خَيَالِي مَتَأَرْجِحًا سَكْرَانَ كَسِيحًا لَا يَقْوَى عَلَى أَنْ يَسِيرَ!!

سَكَنَ فُؤَادِي لِذَلِكَ الْحُبِّ الْغَدِيرِ الْمُتَدَفِّقِ، كَالنَّهْرِ الَّذِي كَانَ يَطْرُدُ الْأَقْذَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، لِتَسْلَمَ الْحَيَاةُ سَائِغَةً لَنَا، لَا كَدَرَ فِيهَا، وَأَصْبَحَ جَافًّا بِلَا مَاءٍ تُعِيدُهُ لِلْحَيَاةِ تَارَةً أُخْرَى، فَكُلُّ الْمَشَاعِرِ تَتَأَرْجَحُ بِكُلِّ اتِّجَاهٍ مَعَ الرِّيحِ.

آهٍ! كَمْ عِشْتُ سِنِينَ مَعَكِ، فَلَمْ أَسْلَاكِ قَطُّ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ تَوَقَّفَتِ النَّبَضَاتُ عَنْ حُبِّكِ الرَّاحِلِ.

فَلَمْ أَعُدْ أَشْتَاقُ إِلَيْكِ لِأَنَّكِ مَاضٍ مُنْتَهٍ، وَلَا شَيْءَ فِي حَيَاتِي يُذْكَرُ مَعَكِ، وَأَصْبَحَ فَرْسَخِي عَنْكِ مِيلًا، وَبَاعِي ذِرَاعًا، وَلَنْ يَعُودَ.

سَارِقُ الْأَسْرَارِ-1-[1]

جمال شمس الدين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى" سُورَةُ الْعَلَقِ. 14

عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّجُلُ الْمَغْرُورُ يَسْرِقُ أَسْرَارَ الْبَشَرِ، يَسْرِقُ أَسْرَارَ أَصْدِقَائِهِ، لِيَنْهَشَ لَحْمَهُمْ، يَسْرِقُ أَسْرَارَ صَدِيقَاتِ زَوْجَتِهِ لِيَصِلَ إِلَى رَذِيلَتِهِ، يَسْرِقُ أَسْرَارَ النَّاسِ وَهُمْ غَافِلُونَ لِأَغْرَاضِهِ الدَّنِيئَةِ.

فَمُنْذُ بِدَايَاتِهِ وَهُوَ طِفْلٌ يَتَمَتَّعُ بِذَكَاءٍ سَيِّئٍ، كَانَ طِفْلًا صَغِيرًا يَحْشُرُ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ بِعَكْسِ طَبِيعَةِ أَتْرَابِهِ، كَانَتْ مُتْعَتُهُ وَهِوَايَتُهُ التَّجَسُّسَ عَلَى أَسْرَارِ النَّاسِ، وَخَاصَّةً عَلَى أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ.

كَبِرَ وَأَصْبَحَ فِي سِنِّ الْمُرَاهَقَةِ يَتَمَتَّعُ بِذَكَاءٍ فَاسِدٍ، كَانَ عَبْدُ الْقَادِرِ لَهُ عَلَاقَاتٌ مُمَيَّزَةٌ مَعَ أَتْرَابِهِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَتَهُ وَمَا يُخَبِّئُهُ، كَانَ يَبْتَسِمُ فِي وُجُوهِهِمْ وَيُسَاعِدُ صَغِيرَهُمْ، وَيَخْدِمُ كَبِيرَهُمْ، حَتَّى يَتَقَرَّبُوا مِنْهُ وَيَلْتَفَّ حَوْلَهُمْ كَالثُّعْبَانِ، وَكَبِرَ وَعَلَاقَاتُهُ تَكْبَرُ مَعَهُ، حَتَّى أَصْبَحَ عُمْرُهُ 23 سَنَةً.

---

[1] سبق التعريف له.

فَقَرَّرَ وَالِدُهُ تَزْوِيجَهُ، وَفَرِحَ عَبْدُ الْقَادِرِ بِالْفِكْرَةِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ سَرِقَةِ أَسْرَارٍ جَدِيدَةٍ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ فِي السَّنَةِ الدِّرَاسِيَّةِ الْأَخِيرَةِ فِي الْكُلِّيَّةِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ تَخَرَّجَتْ وَأَصْبَحَتْ مُعَلِّمَةً، وَهُوَ مُوَظَّفٌ فِي قِطَاعٍ حُكُومِيٍّ عَامٍّ.

كَانَ مِنْ امْتِيَازَاتِ عَبْدِ الْقَادِرِ سُرْعَةُ الْبَدِيهَةِ فِي سَرِقَةِ الْأَسْرَارِ، بِحَيْثُ لَا يَتْرُكُ وَرَاءَهُ دَلِيلًا وَاحِدًا خَلْفَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَبَعْدَ مُرُورِ سَنَوَاتٍ دُشِّنَتْ ثَوْرَةُ الِاتِّصَالَاتِ فِي الْبِلَادِ مِمَّا سَهَّلَ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِ الشَّيْطَانِيَّةِ الْقَذِرَةِ، كَانَ يَسْتَغِلُّ جَهْلَ زَوْجَتِهِ فِي تَقَانَةِ الِاتِّصَالَاتِ وَالْمَعْلُومَاتِ الْإِلِكْتْرُونِيَّةِ، وَيَأْخُذُ هَاتِفَ زَوْجَتِهِ النَّقَّالَ بِغَرَضِ عَمَلِ صِيَانَةٍ لَهُ، وَإِذْ بِهِ يَخُوضُ فِي الرَّسَائِلِ النَّصِّيَّةِ الْمُتَبَادَلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَمِيلَاتِهَا.

كَانَ يَقْرَأُ رَسَائِلَ زَمِيلَاتِهَا وَيَحْفَظُهَا فِي "ذَاكِرَةٍ خَارِجِيَّةٍ"، وَكَانَ مِنْ أَعْمَالِهِ الْقَذِرَةِ يَحْتَفِظُ بِنُسْخَةٍ مِنْ أَرْقَامِ زَمِيلَاتِ زَوْجَتِهِ لِيَسْتَخْدِمَهَا لِأَغْرَاضِهِ الدَّنِيئَةِ، وَيُرَدِّدُ مَقُولَةَ: "الْغَايَةُ تُبَرِّرُ الْوَسِيلَةَ".

كَانَ عَبْدُ الْقَادِرِ يَعْرِفُ أَهَمَّ وَأَدَقَّ الْأَسْرَارِ لِكُلِّ صَدِيقٍ لَهُ، مِنْهَا الشَّخْصِيَّةُ وَالْعَائِلِيَّةُ، كَانَ يَسْحَرُ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ، وَخَاصَّةً أَصْدِقَاءَهُ بِكَلَامِهِ الْمَعْسُولِ الْعَذْبِ، وَيُكْرِمُهُمْ وَيَعْزِمُهُمْ عَلَى مَائِدَةِ الْعَشَاءِ وَالسَّهَرِ حَتَّى بُزُوغِ الْفَجْرِ.

كَانَتْ فُرْصَتُهُ الذَّهَبِيَّةُ عِنْدَمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَذْهَبُ لِدَوْرَةِ الْمِيَاهِ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَكَأَنَّهُ أَسَدٌ يَنْقَضُّ عَلَى فَرِيسَتِهِ، يَأْخُذُ هَاتِفَهُ النَّقَّالَ وَلَدَيْهِ الْمَعْرِفَةُ بِأَرْقَامِهِمْ السِّرِّيَّةِ لِهَوَاتِفِهِمْ، حَتَّى إِنَّ لَدَيْهِ أَصْدِقَاءَ وَصَدِيقَاتٍ ثِقَاتٍ يُسَاعِدُونَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَالرَّذِيلَةِ.

نَسِيَ هَذَا الْمُتَعَاوِنُ وَنَسِيَتْ هَذِهِ الْمُتَعَاوِنَةُ قَوْلَ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ}، أَلَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْمُتَعَاوِنُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَغْدُورًا بِهِ فِي يَوْمٍ مَا.

كَانَ عَبْدُ الْقَادِرِ يَتَفَنَّنُ فِي سَرِقَةِ أَسْرَارِ النَّاسِ لِيَسْتَخْدِمَهَا فِي مَصَالِحِهِ الشَّخْصِيَّةِ لِلْحُصُولِ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَخْدِمُهُ.

كَانَ عَبْدُ الْقَادِرِ لَا يَمْلِكُ قَلْبًا وَلَا عَوَاطِفَ وَلَا مَشَاعِرَ، وَإِنَّمَا يَمْتَلِكُ لِسَانًا مَعْسُولًا وَغَرَائِزَ شَاذَّةً لَا تَنْتَهِي، وَأَنْيَابًا يَنْهَشُ بِهَا فِي أَعْرَاضِ الْآخَرِينَ، لَا يَمْتَلِكُ عَقِيدَةً دِينِيَّةً وَإِيمَانًا وَيَقِينًا مَعَ اللَّهِ.

فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَعِيثُ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ، لَا يَخَافُ رَبَّهُ، وَيَخُوضُ فِي الْأَعْرَاضِ، كَانَ لَدَيْهِ عِدَّةُ هَوَاتِفَ نَقَّالَةٍ لِاسْتِخْدَامِهَا لِأَذَى مَحَارِمِ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِذْ مَا افْتُضِحَ أَمْرُهُ أَمَامَ زَوْجَتِهِ أَنَّهُ عَلَى عَلَاقَةٍ مُحَرَّمَةٍ مَعَ امْرَأَةٍ أُخْرَى، مَا يَبْرَحُ حَتَّى يُبَرِّرَ مَوْقِفَهُ وَيُقْسِمَ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ أَمَامَ تِلْكَ

الزَّوْجَةِ الْمَغْدُورِ بِهَا أَنَّ أَدَاةَ الْجَرِيمَةِ "الْهَاتِفَ النَّقَّالَ" لَيْسَ لَهُ، وَإِنَّمَا لِصَدِيقٍ لَهُ قَدْ نَسِيَهُ فِي بَيْتِهِ عِنْدَمَا زَارَهُ مُؤَخَّرًا.

كَانَ جَاهِزًا لِلْخُرُوجِ مِنْ أَيِّ مَطَبٍّ يَقَعُ فِيهِ، كَانَ يَضَعُ التُّهْمَةَ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ الشَّهِيدُ الْمَظْلُومُ، عِنْدَمَا يَفْتَضِحُ أَمْرُهُ سُرْعَانَ مَا يَأْتِي بِكَبْشِ فِدَاءٍ سَمِينٍ لِيَأْكُلَ تِلْكَ التُّهْمَةَ وَيُلْصِقَهَا بِهِ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، كَانَ هَذَا أُسْلُوبَهُ الْمُتَّبَعَ أَمَامَ زَوْجَتِهِ وَالْمُقَرَّبِينَ مِنْ أَهْلِهِ.

وَمِنْ غَرَائِبِ عَبْدِ الْقَادِرِ أَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ يَمِينَ أَيِّ أَحَدٍ يَحْلِفُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَبَدًا إِلَّا يَمِينًا وَاحِدًا، أَنْ تَحْلِفَ (بِالطَّلَاقِ مِنْ زَوْجَتِكَ)، هَذَا هُوَ الْحَلِفُ الْمُعْتَمَدُ وَالْمُصَدَّقُ لَدَيْهِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

فَكَمْ مِنْ بُيُوتٍ عَامِرَةٍ هَدَمَهَا عَبْدُ الْقَادِرِ! وَكَمْ مِنْ أُسْرَةٍ مُتَلَاحِمَةٍ بُعْثِرَتْ بِسَبَبِهِ! فَكَمْ مِنْ زَوْجَةٍ وَفِيَّةٍ سُرِقَتْ أَسْرَارُهَا وَنُهِشَ عِرْضُهَا! وَطُلِّقَتْ ظُلْمًا بِسَبَبِ عَبْدِ الْقَادِرِ! كَمْ مِنَ امْرَأَةٍ عَفِيفَةٍ سُرِقَتْ أَسْرَارُهَا وَوُزِّعَتْ عَلَى أَصْدِقَائِهِ!

فَالْبَعْضُ مِنْ أَصْدِقَاءِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُمْ مَنِ اكْتَوَى بِنَارِهِ بَعْدَمَا عَرَفُوا حَقِيقَتَهُ وَغَدْرَهُ وَأَخْلَاقَهُ الدَّنِيئَةَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

فَرَحَلَ فِي صَمْتٍ وَتَرَكَ شَكْوَاهُ لِلَّهِ كَالسَّهْمِ تَغُوصُ فِي عَنَانِ السَّمَاءِ لِتَصِلَ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ.

وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مَخْدُوعٌ حَتَّى الْآنَ لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ وَهُوَ قَدْ أَكَلَ مِنْ عِرْضِهِ وَدنَّسَ شَرَفِهِ، وَنَشَرَ أَسْرَارَهُ بَيْنَ أَصْدِقَائِهِ، وَالْمَخْدُوعُ لَا يَدْرِي.

أَلَا تَعْلَمُ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ أَنَّ الدُّنْيَا دَوَّارَةٌ! وَمَا أَقْسَى دَوْرَتَهَا عَلَى الظَّالِمِ! وَأَنْتَ لَاهٍ بِمَلَذَّاتِكَ، فَاحْذَرْ مِنْ دَوَرَانِهَا، فَعِقَابُكَ عَظِيمٌ عِنْدَ مَلِيكٍ جَبَّارٍ يُصَفِّي كُلَّ الْحِسَابَاتِ بِاقْتِدَارٍ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ.

بحافةِ رياضٍ بارد[1]

بقلم الأستاذة/ساميه علي سهلي

غارقة في محطة انتظار، تنتظر قطار قادم برياضٍ بارد يهب من جهةٍ لا يعرفُها أحد يُلامس روحها ويقول شيئاً لا يُسمع. تقاومه بعينين مُنكسرتين كبقايا لوحة نسيها رسامُ بائس ترك خطوطه فيها ورحل.

يصل القطار لتستقل مقعداً بلحظةٍ محمولة على صمتٍ غامض تشبه المسافة بين الشهيق والزفير.. بين بداية لا تُراد، ونهايةً لا تُعلم. تسرق من أول شُرفةً للنهار خيط املٍ تضعهُ في حجرها كعزاءٍ صغير.

تضم جسدها الهالك بمعطفٍ بُنيٍ أنيق، بعد أن رصّت بين حبات ريشة كثيراً من التيه والوجع، وشيئاً لم تُسمِه يُشبه العودة أكثر مما يُشبه الرحيل.

---

[1] ساميه علي سهلي، كاتبة سعودية، يمكنك قراءتها على مدونة دار بسمة للنشر الإلكتروني.

يتوقف القطار مُعلناً الوصول، لِتحمل حقيبةً أعدتها مُنذ شهر، لم تكن من قماش وجلد بل وعاء لقدرٍ يسكُنها وضعت فيه قوةً من نور وقسماً بالنجاة.

وصلت إلى غُرفتها إلى موعدٍ تتمنى بأنهُ الأخير، تأملت الأشياء حولها وكأنها لم تعُد ترى الأشياء كما هي، كأنها تدخل عالماً موازياً ينشف فيه الضوء من الوجوه وتبقى به الغصات التي لا ترحم.

يستوقفها شيئاً ما يقف خلف النافذة، لترى كيان لا ظل لهُ، يشبهها دون أن يكونها، ويختلف عنها دون أن يكون أخر نُسخةً روحية منها تخلت عنها واستقرت هناك حيث وجدت مناخاً يشبهها. فعندما يُكسر القلب كثيراً يخرج نصفه ليراقبنا من الخارج.. وهناك خلف النافذة كان نصفها ينتظر نصفها الآخر، فكان هذا أخر ما تراه قبل أن تغطّ في سباتٍ عميق.

الساعة تُشير إلى الثامنة صباحاً، زمنٌ مُكرر للحظة تتمدد فتغمر كل شيء، ترتدي اللباس ذاته للمرة الخامسة وكأنها تُعيد تجربةً قديمة كي تصل بها لمثولها الأخير. يقترب الطبيب بصوتٍ لا يأتي من فمِه بل كأنه مكتوبٌ على صفحةٍ أصدرها مُنذ زمن:(كُل شيء في الأسفل بانتظارك سيُقتص جُزءاً آخراً من أحشائك).

رفعت عينها لتسقُط جوهرةً بلون دمع تتدلى كتسليمٍ ناعم من مقامٍ للصبر والرضا، وبصوتٍ ثابت كحجر: (الأشياء التي نفقدها لا ترحل

كُلها بعضُها ينتظر في مكانٍ آخر نشعُره ، فأنا مؤمنة بأنه كما تُهدم المساكن والأحياء أحشائُنا أيضاً لها نصيبٌ من العدم، ليس لتموت بل لتُعلق في سماءٍ أُخرى.. جعلها الله ذخيرتي يوم ألقاه يومُ يُقال فيه: ((إني جزيتهم بما صبروا)).

تمددت فوق السرير الذي تعرف قسوتهُ جيداً كما تعرف حدود قلبها، تُغلف رؤيتها بمفرشٍ أبيض يحمل بذاكرتها رائحة الموت والكفن، خلف جفونها تمر صور بأجنحة للنسيان الذي أصبحت تخافه مُنذ أن أصبحت تنسى مفاتيح يومها وتنسى ملامح وجه مر أمامها قبل دقائق ،حتى الأسماء التي تُحبُها صارت تتداخل في رأسها، كما لو أن المرض يعجن الأشخاص ويُبدل مواقعهم ويتركهم مُعلقين بِلا يقين ،كانت تخاف أن يسرقها النسيان من أيام من تحب ويتركها كظل يمشي بِلا ذاكره بِلا تاريخ وبِلا أحد ،فتدعو يا رب احفظني من الضياع وأكتب أسمائهم في داخلي قبل أن يأكل المرض كُل ما لدي قبل أن يُضيع قلبي نفسه.

في الممر، لم تكُن المخاوف تتطاير.. بل تُصلي، كُل سؤال كان مسبحة، وكل خوفٌ كان تسليماً.

حين بدأ صوت الطبيب بالذوبان مع المُخدر، رأت نفسها بنهرٍ بِلا ضفتين؛ يقف عندهُ وجهان أحدهُما يمدُ طوق نجاة، والأخر يلوح بظلٍ طويل لا يعرف الرحمة.. وبينهما هي كأنها توازن بين موت

يتربص بالحافة، ونجاةً تختبئ خلف قسم. يتسرب بعدها بعروقها شيئاً يشبّه الطمأنينة.. يشبّه يداً لأُم غيّبها الموت تُلامسها ثُم ترحل. تُسلم بعدها أمرها ووعيها لله.. ثُم يبدأ القدر بانتزاع ما قُدِّر لهُ أن يُنزع، غيَّبها الصمت في أروقة المستشفى، كانت اللحظات تتمدد على حافة القلق مثل ورقةٍ خفيفة فوق ريحٍ لا تُمهِل. وبينما يتصاعد الخوف في صدورهم كدُعاءٍ مُجهد يُفتح الباب أخيراً.. يخرج الطبيب بصوتٍ مُطمئن، كأنه يُسقِط عن الهواء ثقلاً كان يختنق به ويقول: "كل شيء على ما يرام".

يقتربون منها يلتفون حول السرير الذي صار قلب دوامة الخوف الوحيد، كأن أرواحهم تستند إلى حافته. في تلك اللحظة تُزيح جفونها ببطء.. وتفتح عيناها ... لا بقوة كامله، بل بوميض خافت يشبه آخر شرارة تشبثت بالحياة لتقول: إنها مازالت هنا، لتنهض بعدها بصورةٍ لنبضٍ جديد ووفاءً لقسماً صادقاً بالنجاة.

معراج الروح[1]

حسناء ادويشي

على فراش المرض الذي طال وهد الجسد الفاني، فلا حياة تحلو بجسم واهن عاجز، ولا شهية للإقبال على مفاتنها، مر الشريط مسرعا مستعرضا لحظات كنت أركض لاهثا وراء تحقيق الذات، أخذتني أمواج الحياة العاتية إلى جزر بلا ساحل أو مرفإ ترسو عليه مطامحي ولذَّاتي، من إنجاز إلى آخر ومن أمنية إلى حلم، فمنافسة شريفة أو غير شريفة، لا يهم، المهم أن يشار إليّ بالبنان، وترصّع هامتي بالتيجان، ويتقلد عنقي ميداليات، ويزين صدري بالنياشين، نشوة الانتصار والتتويج تسكرني حتى الثمالة، فأهيم في عالم مَلكني، فهو يخدعني لأنه يرفعني فوق البشر، فأنا "أنا" هنا أحقق النصر تلو النصر، بجهدي وتدبيري وعقلي العبقري الفذ.

شريط مفعم بفرح ونشوة، تشوبها حسرة وحرقة في القلب دامية، أتجاهل مأتاها، وأغض الطرف عن مغزاها، وأنا الخبير بنفسي وشيطانها وهواها. في غمرة الأحداث التي عرضها الشريط السريع تراءت أسرتي وأهلي وعائلتي، وعلى وسادة الحنان والدفء بدت يدا

---

[1] حسناء ادويشي، كاتبة مغربية.

أمي الحانية، لطالما قبلتهما وأنا بعدُ حديث عهد بفطرتي الطاهرة النقية، لقد نسيت شفتاي هاتين اليدين الحانيتين، في غمرة النجاحات والمنافسات وحتى الإخفاقات، حيث دحرتني الفتن بعيدا عن رحمة والدتي وعطفها، ودفء صدرها، ولين ملمس يدها وجبينها.

آه كم غصة الآن في قلبها! كم جرح غائر في صدرها! كم وكم ضيعت من فرص للجلوس تحت جنتها! يا ويلتي أإلى هذا الحد أخذتني أنانيتي! أية خيبة أصابتني! سأموت ويفنى جسدي الممجد المبجل بالميداليات والأوسمة، سأموت وروحي محطمة ممزقة جاحدة، لقد قطعت علاقتي بأمي وأهلي وأسرتي، وانفصلت صلتي بقلبي، بعدما مزقت نياطه، فأنا غريب عنِّي.

تتعالى آهات الوجع والألم الذي يفتك بهذا الجسد المتهاوي على فراش الضعف والعجز والمرض، وتشتد حرقة الفؤاد النادم صاحبه على ما فرط، ويغيب العقل المسَهَّد أخيرا بعد أن هدَّه الأرق، وخارت قواه أمام الضمير الذي أنعشه المرض وأحياه الضعف.

سافر العقل المعذب في زمن أضناه تقليب أوراقه التي كشفت بُعدَه عن الغاية والقصد من خلق الله للناس أجمعين، بعدما عظمت

الدنيا في قلبي، وتشربتها نفسي، فتناسيت كل القيم الراقية، والعلاقات الإنسانية، ورجحتُ كفة الذات الأنانية.

لم يدم هذا السفر طويلا، فالألم يعتصر قلبي، والوجع يضنيني، والحمى أبت أن تفارق هذا الجسد السقيم، كأنها تطهره بلهيبها من أدرانه، لعل الروح تعرج إلى عالم علوي تصفو فيه وترتاح.

فتحت عينيّ بمشقة بالغة، فإذا بها جالسة بجانبي تتأملني في رجاء ولهفة، وجهها شاحب، لكن في جبينها نور يبعث الحياة في العظام وهي رميم، رغبت في النهوض كي أعانقها وألثم يدها، لكن جسدي لم يسعفني، مازال واهنا ملتصقا بالأرض، فبادرتْ هيَ بالسلام والتحية:

– السلام عليكم ورحمه الله، طال الغياب، فهل إلى رجوع من سبيل؟

نظرت إليها بخجل وحياء، وددت الكلام، فخرجت من فِي كلمات بصوت مبحوح به حشرجة، وانطلقت دموع العين من عقالها، وتابعت هي الكلام بلا استئذان:

– لطالما انتظرتك، لم تغب لحظة عني، كنت موقنة أنك ستعود يوما ما، هي غفلة، لكنك ستعود حتما.

لم تسعفني الكلمات، ولم أقو على الرد، فبم سأبرر هذا الجحود المخزي؟ بما سأفسر هذا التنائي والعصيان؟ ماذا عساي أقول؟ لقد عصت الكلمات وسجنت حروفها، خجلا من تدبيج جمل لا محل لها من الإعراب في أبواب التفسير والتبرير الكاذب، حاولت جاهدا أن أتفوه بأي كلام، المهم أن أفصح عما يكتم أنفاسي ويبرّح جراحي، فما عاد للسكوت والهروب من معنى، ها قد انكشفت عورة المستور، وانزاح حجاب الهوى، وتنفست الروح الصعداء، بعدما توارت النفس الغافلة اللاهية مستسلمة للعجز والوهن الذي هد الجسد، لكن مع ذلك حاولت، فتساءلت:

– هل جئت لعيادتي؟ من أخبرك أنني مريض؟ تعودينني رغم جحودي وبعادي الطويل.

تخنقني العبرات مرة أخرى ويتثاقل جفناي، فلا يعلوان لفسح المجال للنظر في الزائرة الطيبة.

ولأنها عائدتي في مرض، وآملة رجوعي إليها بقوة وثبات، أستمد قوتي من دفئها وحرارتها التي تقوي مناعتي ضد الغفلة عن الله والتيه في دنياي، حاولت أن تمد لي يد العون، فتغتنم فرصة صحوة الضمير، وصفاء القلب، وانكشاف الفطرة السليمة، لتسمو بروحي نحو المعالي، فتواصل الحوار بحكمة بالغة، وعطف متناه، ويقين ثابت:

– جئتك اليوم، بعدما كشفت روحك المسجونة وراء قضبان نفسك التي أَسِرتْك، وملكت مفاتيح قلبكَ، فتواريْتَ عن دربي، فمن وراء قضبان سجنها الزائل بدا لي هذا الصفاء المطمور لزمن تحت ركام سفاسف الدنيا الفانية، بحثت فيك عن ذلك الطفل الذي توطدت علاقتي به منذ تعلَّمَ الكلام، ووقف على قدميه، فكانت أولى خطواته بحرارة وحماس تجاه القبلة، مقلدا الكبار، محاكيا أقوالهم، مهتديا بأفعالهم، حتى ترسخ في قلبه نور الصلة والوصل بمولاه، فما كان يفرط في وقت من الأوقات حتى شب. لقد ارتبط مكان سجودك بك في مسجد الحي، جماد أحياه دعاؤك وخشوعك وتبتلك، كل جنبات المسجد تذكرك، بخطواتك الوئيدة، أو صوتك الخافت وأنت تتلو القرآن، أو بكائك خشوعا لتلاوة آية وأنت خلف الإمام، فلما غبت افتقدك رواد المسجد من المصلين، وكذا الحيطان والجدران وسجادات الصلاة.

لقد طال بعادك حتى نسيك الجميع إلا أنا، لم أنس قلب ذلك الطفل الصغير البريء، كنت أسمع دقاته المسبحة بحمد ربها، المحبة له، الراجية القبول، فانقطع صدى الصوت منذ زمان، لكن في هذه الأيام عاد صداه يتردد قويا، يطرق بابي طالبا النجدة، راجيا الرجوع والعودة...

لم تكمل كلامها بعدُ، حتى عم صوت بكائي المكان، يمزق كبدي، وتلاشت في خضمه كل الدنيا الفانية، وسمتْ نحو الأفق روح

صافية محلقة تبحث عن قبول بعد أوبة، فعَلا صوتي المرتج في الفضاء:

– إلهي! هل إلى رجوع من سبيل؟ رباه! تقبل عبدا آبقا أنكر الجميل، وتاه في أزقة الدنيا الضيقة، ومنعرجاتها الفجة، فحُجب عنه نور سماء المحبة والوصال مع ذي الجلال. إلهي! إلهي! من لي بفرصة ثانية، فروحي ترفرف في صدري راجية العروج إلى سعة رحمتك، وفيض حبك، وجمال قربك، يا غفار هل تقبلني؟

تابعت الضيفة الكلام، حول حدسها الذي أكد لها عودة الطفل الشاب الآن، بعد غياب دام سنين، راجعا إلى الصفاء بيقين، فالرجوع مصير كل ذي أصل طيب، وقلب سليم:

– لو لم يكن لرجوعك من سبيل، لما كنت الآن أعودك، مادَّة إليك يد العون والنصير، القلب الطاهر يعود له صفاؤه ولو بعد حين، وأنا الآن في انتظار جبينك الذي يحضنني وأحضنه، وفي انتظار ركوعك وسجودك، وفي شوق لسماع آي القرآن من صوتك الشجي الحزين، ما جئت لأرجع خالية الوفاض، ولكن قلبك ناداني، وروحك حلقت في جنباتي، فلبيت النداء، وكلي شوق وحنين لوصل قريب بينك وبين خالق الإنسان، وسأكون سعيدة به لأنني معراج روحك إلى حضرة الكريم الرحمن.

انشرح صدري فجأة، وزال همي وغمي، وخف حزني وألمي، وأشرقت في عيني بارقة الفرح بالعودة إلى حضن الغفور المنان. التفت فلم أجدها، لكن وجدت سجادة للصلاة، فتيممت صعيدا طيبا، وهرعت تجاه القبلة، أحمل بين ضلوعي لهفة وشوقا وحبا وفيضا، جاد به علي خالقي، فكان إشعارا بالقبول.

كبرت تكبيرة الإحرام، صغرت معها الدنيا، وفنيت زخارفها، وسرت مع عروقي قشعريرة، وكأنها صلاتي الأولى، وكأني في روضة الجنان أتهيأ للقاء الحي الرحيم المنان:

– الله أكبر، الله أكبر.

مشاعر مبعثرة [1]

آسر ياسين

لقد حلمتُ أنني سعيدٌ، وكتبتُ لكم هذا.

لكنني حين استيقظتُ لم أجد شيئًا مكتوبًا.

لم أجد ضحكةً، ولا أملًا، ولا أثرًا لذلك الحلم.

وجدتُ فقط حزنًا يجلسُ مكانَ الكلمات، كأن السعادة كانت فكرةً عابرةً، مرّت في النوم ولم تجد طريقها إلى اليقظة.

استيقظتُ، فكان الصمتُ أثقلَ من الكلام، وكان القلبُ ممتلئًا بما لا يُقال. وعرفتُ أن بعض الأحلام لا تُكتب، لأنها لا تحتمل ضوءَ الواقع،
وأن بعض المشاعر لا تعيش إلا في النوم؛ أمّا حين نصحو، فلا يبقى سوى الحزن يقرأ ما لم نكتبه.

---

[1] آسر ياسين، كاتب فلسطيني.

لكن بين الحزن وذكريات الحلم، تبقى نافذةٌ صغيرةٌ للفرح، تلمع بعيدًا في زوايا القلب، تذكّرك أن السعادة لم تختفِ، بل تنتظر اللحظة التي تكتب فيها حكايتك بيدك.

ضريبة الحرية[1]

بقلم الكاتبة الصغيرة: سجى حمدان

وأخيرًا وصلتُ. احتضنها بحرارة شوقي لرؤيتها، فشممتُ عبقها الزكي الذي يفوح في كل الأرجاء؛ إنها رائحة الزعتر البري التي تمنيتُ أن ألثمها. يا الله... ما أجمل عبقكِ الذي تتميزين به!

طمئني قلبي المضطرب: هل أنتِ بخير؟ لا تقلقي، سيُفَكُّ أسركِ قريبًا رغمًا عنهم؛ فقط توكّلي على القوي العزيز.

أخبريني يا ابنة الملوك... أخبريني: كيف اختطفوكِ وسلبوكِ من حضن والديكِ؟

حدِّثيني يا نرجس القلب، يا من كلُّ من أتى إليكِ محمّلًا بجبالٍ من الهموم والغموم امتصصتِ كروبه، وأبدلتِ قلبه المُدلهمّ بالحزن سكينةً وراحةً لم يتذوقها سوى من أتاكِ.

اختطفوكِ يا حبيبة الفؤاد لأنكِ تحبين السِّلم والسلام؟ ألم يحذّركِ والداكِ مرارًا وتكرارًا ألّا تفتحي الأبواب للغرباء؟

---

[1] سجى حمدان، كاتبة فلسطينية.

أجيبيني يا عزيزتي، فقد باتت هذه التساؤلات تدور في ذهني كما تدور الكواكب حول الشمس؛ لا تتوقف ولا تضل طريقها... أما آن الأوان أن تجيبيني يا عزيزتي؟

ذرفتْ دمعتين رقيقتين من عينيها، فوقعتا على قلبي كجمرٍ من بركانٍ ملتهب.

فقالت: سوف أجيبك يا مهجة القلب...

في ذلك اليوم التعيس، كنتُ جالسةً بين أهلي وأشقائي والسعادة تغمرني، وكانت أمي فلسطين الحبيبة دائمًا ما توصينا بعدم فتح الأبواب لأناسٍ لا نعرف عِرقهم ولا نسبهم. فطرق رجلٌ عجوز باب بيتنا، بدا عليه التشرد والإرهاق والجوع، فقلتُ في نفسي: لا ضير في أن أصنع خيرًا. فرحبتُ به وبشّرته أنه يمكنه المكوث في بيتي، وأن هذا البيت بيته.

ذهبتُ وأحضرتُ له ألذ طعامنا، وألبستُه أرقى ثيابنا، وأهديتُه قطعًا من الذهب ليقضي بها حوائجه. فرأيتُ البسمة ترتسم على وجهه المُنهك، فشعرتُ حينها أنني سأطير فرحًا لمساعدته. وقبل أن أنام ليطمئن قلبي، وضعتُ له سريرًا وبجواره فخارةً مليئةً بالماء، وبعض الطعام، وبعض الأغطية كي لا يشعر بالبرد أبدًا.

وللأسف... افعل خيرًا تلقَ شرًّا! وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان قط. أثناء نومي تسلّل إلى غرفتي، كبّل يديَّ الرقيقتين، ووضع عصابةً على عينيّ البريئتين. وحين استيقظتُ، أخرج سلاحه بيدٍ غادرة وأطلق رصاصةً على سبابتي الصغيرة، فما استطعتُ أن أكتم صرخةً خرجت من حنجرتي مذعورةً مظلومةً مغدورة. فقهقه متعمّدًا ذعري، فسال دمي كنهرٍ جارٍ وسط غيثٍ غزير، ليُسطّر للعالم أنني ظُلِمتُ في وسط الظلام.

وما جعلني أشعر بالذعر أكثر أنه لم يكن وحده؛ بل كانت عصبةٌ متكاملةٌ مجتمعةٌ على الظلم ضد أميرةٍ صغيرة. أمسكوا بي بقوةٍ آلمتني، ثم ثبّتوا السلاسل والجنازير الحارقة على جسدي، وجعلوه يذوب رويدًا رويدًا وأنا أصرخ وأولول، وهم يتلذذون بتعذيبي. وكلما أصدرتُ صوتًا رغمًا عني يوحي بألمي وذوبان أنسجتي، جعلوا يجلدونني بالسياط.

ولم يكتفوا بذلك... وأنا على تلك الحال أمسكوا بي وألقوني على كرسيٍّ حديدي. لم أكن أعلم ما هو في البداية، ولكن بعدما تحسستُه أدركتُ أنه كرسي. فبدأت أركاني ترتجف من المجهول...

وإذ بأولئك الوحوش يرفعون العصابة عن عينيّ. وليتني بقيتُ في عتمتي على أن أرى هذا المنظر المريع الذي لا يُوصف! لقد رأيتُ أهلي وأقربائي وجيراني وأهل قريتي مرصوصين أمامي، جالسين على

رُكبهم، منحنيةً ظهورهم كعجائز مُسنّين، مكبّلين الأيدي إلى الخلف، مغمضي الأعين، والرؤوس تنحني صوب الأرض.

بدأوا برشق الرصاص هنا وهناك بشكلٍ عشوائيٍّ جدًا، وتنوّعت أشكال التعذيب من الفظيع إلى الأفظع على الإطلاق. وعندما رأيتُ هذا المشهد بكيتُ بحرقة، فقام أحد هؤلاء... بالضغط على زرٍّ أحمر كان على الكرسي، فشعرتُ بكهرباء تجري في عروقي. يا إلهي! أهذا الكرسي الذي أجلس عليه كرسيٌّ كهربائي؟

شعرتُ حينها أنني فقدتُ حواسي لوهلة، أو كأن أطرافي قد أصيبت بشلل. وبشكلٍ غير واضح استطعتُ أن أرى أولئك منزوعي الإحساس يقطعون ما تيسّر لهم أن يقطعوا؛ كان أحدهم يقف في المنتصف ويحمل في يديه سيفين طويلين حادّين، ويلتف حول نفسه بسرعةٍ كبيرة، فيقطع رأسًا ويصيب قلبًا ويمزّق أمعاءً ويقطع قدمًا... والمساكين يصرخون ألمًا. ويا لقلة حيلتهم! تركوا دماءهم تنزف حتى غرقت الأرض بدمائهم الطاهرة، فأصبحت الدماء تركض هلعًا، تستغيث بحرقةٍ وفزع... ولكن للأسف لا مُغيث ولا مُجيب!

أما عن إخواننا، فقد وضعوا أصابعهم في آذانهم، وافترشوا سررهم، وتلذذوا بنومهم... ونحن نُذَبَّح.

ومن آنذاك إلى الآن، وأنا أسيرة. وكل يوم باقٍ يرفع عليّ ذلك السيف ليلتهم جزءًا من جسدي بكل وحشية. لقد استعمَروا أرضي

وسلبوها رغمًا عني، وحجبوا نور الشمس عني لأعيش في ظلمةٍ أبدية...

ولكنني لن أستسلم، ولن تُكسر إرادتي. سأكسر أبواب السطو والظلم، حتى ولو كان بابًا من حديدٍ لا يُكسر، فسأصهره بحرارة غضبي وأذيبه كما أذابوا جسدي.

وكل من تخاذل عني وتركني وقال إن قضيتي خاصة، فهذا أيضًا سيلقى جزاءه. ومهما حاولوا تحطيمي، سأبني نفسي من جديد، وسأعود أميرةً من جديد كما كنت... بل سأصبح ملكة، لأنني لستُ أحدًا عابرًا؛ أنا القدس، ابنة فلسطين.

إذا أردت أن يكون لديك كتاب مستقل يحمل اسمك

تواصل معنا الآن

انضم إلى مجموعة دار بسمة على واتساب، من هنا

اشترك في نشرتنا البريدية لتتوصل بآخر إصدارتنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المُحتَوَيات

الإهداء..... 6
المؤلفون..... 7
مقدمة الناشر 8
اللُّغةُ العَربيّة 10
قِصة الطفل الذي علّم الكبار معنى الأثر 12
ظلال الأنس..... 19
سجين الأيام والحرية المفقودة..... 25
دال نقطة 31
يتيما قد تألم.. 35
ترنيمة الهادي 41
أمام المرآة: ميلاد الأمل (جلسات الكوتشينغ) 43
حبيبتي... 47
الْعَنَاء 50

لوعة الفراق 52
حكمة العجوز 56
بصيص من أمل 67
أقنعة على الرف 72
على حافة الحياة... أبحث عني..... 74
لا أنا جميلة.. ولا أنت تراني 77
لا تتركني! 82
رواية خلف تلك الستائر الوردية 86
عهد الحب والموت 103
أمي تحترق وقلبي ينصهر 109
الأسرة: المنظومة الأسمى لصناعة الإنسان والأمة .. 116
رجولة تحتضر 122
ظلال الغريب... والوجه الذي يشبهنا 125
تلك التي لا تكبر 131
وصال الروح 133
الاختلاف..... 136
النهوض من جديد 143
كُــنْ جَـــمِيْــلًا..... 148
النِّسَاءُ يُخْرِبْنَ الْبُيُوتَ 153

ثم تولّ إلى الظل..... 157
بلا عنوان... ككلِّ البيوتِ المهدَّمة 165
هذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم..... 171
كتاب: أركان النور - في أهمية العلم والذكر والتواضع
..... 175
مِن تجلِّياتِ الحُبِّ... مِنْ وَحيِ المحبَّة 184
بين شهيقٍ لا يكتمل... وزفيرٍ لا يصل..... 194
نَغَمٌ فِي حَيَاتِي 198
سَارِقُ الْأَسْرَارِ-1-..... 200
بحافةِ رياضٍ بارد 205
معراج الروح..... 209
مشاعر مبعثرة..... 216
ضريبة الحرية..... 218

بيـن هـذه الصفحـات سـتجد وجوهًـا كثيـرة للإنسـان: فرحًـا، حزنًـا، أملًا، وحنينًا لا يشيخ.

مختـارات مـن أقلامٍ عربيـة صاعـدة، اجتمعـت لتقـول شـيئًا صادقًـا وبسـيطًا... لكنـه عميـق. إنّ الكتـاب الجامـع "حـروف تعانـق السّـماء" دعـوة لقـراءة أصـواتٍ جديـدة تسـتحق أن تُسـمَع. اقـرأه كمـن يفتـح نافـذة: ستدخل منها حكاياتٌ كثيرة، وربما حكايتك أيضًا.

المؤلفون:

أحمد حسن ضيف الله	لمى حبوب
ندى يزوغ	حميدة الأحمدي
يوسف الزدكي	أم كلثوم بهواري
عبد الصمد ساير	إيمان الجصاص
إدريس بكوش	جهاد غريب
عادل حسن الحسين	ساميه علي سهلي علـي
صالح محمد الهلابي	بن عيسى الزهراني
إبراهيم لوكنا	حياة بقيش
علي الحكماني	هيفاء الشوا
علي بن عبد الرحيم حمد	الزعومي فاطمة الزهراء
داود ياسمينة	جمال شمس الدين
حسناء ادويشي	عبد العزيز ادغوغ
أريج منصور أبو حسين	عبد السلام الخلقي
زينب العيناني	نوفل بيروك
إسماعيل سليمان	نور سعيد ظاهر
عبد الله الحكماني	عبده محرم أحمد دبوان
ابتسام عبد الرزاق	سارة محمد
بويصار بدر الدين	آسر ياسين
ثريا بلعيادي	سجى حمدان

bassmabook
00212771814934
bassmabook@gmail.com